



رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس

Ibn Karramah, al-Muḥassin ibn Muḥammad

/Risālat Iblīs ilá ikhwānihi al-manāḥīs/

للحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة الجشمي البيهقي

المتوفى سنة ٤٩٤ هـ

تحقيق

حسين المدرسي الطباطبائي

طبع من هذا الكتاب مائة نسخة
على نفقة المحقق
١٤٠٦ -- ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ البحث في مسألة القضاء والقدر في المجتمع الاسلامي يساوي تقريباً عمر هذا المجتمع ، فطبيعة طرح المسألة في القرآن الكريم الذي ينسب الهداية والضلالة الى الله تعالى[1] كانت كافية لبدء هذه الابحاث من دون حاجة الى أن تستورد الشبهات من اليهود والمسيحيين ، وان كانت لهذه الابحاث سابقة قديمة بين هؤلاء وبخاصة في اللاهوت المسيحي التي ربما أثر بعض الشيء فى بعض المناظرات الكلامية التي ظهرت في الادوار المتأخرة .

وقد حفظت لنا كتب الحديث بعض النماذج الاولى من هذه المناظرات ، أقدمها ما يعود الى سنة ٣٨ ، فقد روي بأسناد عديدة ـ سنية وشيعية ـ أنه لما انصرف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من صفين قام اليه شيخ ممن شهد الوقعة معه فقال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن مسيرنا هذا أكان بقضاء من الله وقدر ؟ قال له أمير المؤمنين : أجل ياشيخ ! فو الله ماعلوتم تلعة ولاهبطتم بطن

١. راجع قائمة بهذه الايات فى بحار الانوار للمجلسى ٥ : ٨٤ ـ ٨٦ (بيروت ـ ١٩٨٣) .

واد الأبقضاء من الله وقدر . فقال الشيخ : أعند الله احتسب عنائي ياأمير المؤمنين؟ فقال : مهلا يا شيخ ! لعلك تظن قضاء حتماً وقدراً لازماً ، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب والامر والنهي والزجر ، ولسقط معنى الوعد والوعيد ، ولم تكن على مسيء لائمة ولا لمحسن محمدة . . [1] .

وقد مر الامام علي في أيام خلافته بجماعة بالكوفة يختصمون فى القدر فكلمهم فيه [2] . وقد حفظت لنا المصادر رسالة كتبها الحسن البصري الى الامام

---

١. رسالة الجبر والتفويض المنسوبة الى الامام على بن محمد الهادى (المتوفى ٢٤٠) ، المندرجة فى كتاب تحف العقول لابن شعبة الحرانى (القرن الرابع) : ٣٤٦ (بيروت ــ ١٣٩٤) / الكافى للكلينى ١ : ١٥٥ / التوحيد للصدوق : ٣٨٠-٣٨٢ (طهران ــ ١٣٨٧) / عيون أخبار الرضا، للصدوق: ٧٩ / الارشاد للمفيد : ١٢٠ ــ ١٢١ (نجف ــ ١٣٨٢) / كنز الفوائد للكراجكى : ١٦٩ ــ ١٧٠ / الفصول المختارة للمرتضى : ٤٤ ــ ٤٦ / أمالى المرتضى ١ : ١٥٠ ــ ١٥١ / روضة الواعظين للفتال النيسابورى : ٣٦ ــ ٣٧ / النقض لعبد الجليل الرازى: ٤٩٥ ــ ٤٩٦ (طهران ــ ١٣٩٩) / متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٧ ــ ١٩٨ / الطرائف لابن طاوس : ٣٢٦ ــ ٣٢٧ (قم ــ ١٤٠٠) عن كتاب الفائق للزمخشرى / الاحتجاج للطبرسى ١ : ٣١٠ ــ ٣١١ (نجف ــ ١٣٨٦) / كشف المراد للعلامة الحلى : ٢٤٧ (قم ــ بدون تأريخ) / اللوامع الالهية للمقداد السيورى (تبريز ــ ١٣٩٦) : ١٣٩ ــ ١٤٣ / الصراط المستقيم للبياضى (طهران ــ ١٣٨٤) ٣ : ٦٤ ــ ٦٥ عن تجارب الامم لابن مسكويه / معادن الحكمة لعلم الهدى ١ : ٣٠ ــ ٣١ / بحار الانوار ٥ : ١٢ ــ ١٤ و٧٥ ــ ٧٦ و ٩٥ ــ ٩٦ و ١٢٥ ــ ١٢٦ .

٢. كتاب التوحيد للصدوق : ٣٥٢ ــ ٣٥٣ / بحار الانوار ٥ : ٣٩ / معادن الحكمة ٢ : ٤٧ . وانظر قصة النجاشى الشاعر مع أهل الكوفة وهجائه لهم لقولهم بالقدر فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ١ : ٣٣٠ (القاهرة ــ ١٣٦٦ بتحقيق أحمد محمد شاكر) والاصابة لابن حجر العسقلانى ١٠ : ٢٠٥ (القاهرة ــ ١٣٩٦) .

الحسن بن علي في مسألة القدر ورد الامام عليه ، يرجع تأريخهما على أرجح الاحتمالات الى الفترة القصيرة التي تصدى الامام فيها للخلافة (رمضان ٤٠ ـ ربيع الاول ٤١) . جاء في رسالة الحسن : « يابن رسول الله ان الناس قد اختلفوا في القدر فان رأيت أن تكتب الينا بما ألقاه الله عليكم أهل البيت فافعل».

فأجابه الامام : « أما بعد ـ فانه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ومن حمل ذنوبه على الله فقد فجر ، ان الله لم يعص مغلوباً ولم يطع مكرهاً ولم يهمل العباد سدى في الهلكة ، بل هو المالك لما ملكهم والقادر على ما عليه أقدرهم، فان ائتمروا بالطاعة لم يجدوا عنها صاداً ولا مبطئاً وان ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبينها فعل ، فان لم يفعل فليس هو الذي أدخلهم فيها جبراً ولاحملهم عليها قسراً بل مكنه اياهم بعد اعذاره وانذاره لهم واحتجاجه عليهم، وجعل لهم السبيل الى أخذ ما اليه دعاهم وترك ما عنه نهاهم » [1] .

ثم كثر الحديث عن المسألة في العهد الاموي ، حفظت المصادر القديمة عديداً منه في طياته ، كما أنه بقي رسائل مفردة نشر أكثرها . وبدأ علم الكلام

---

١. كتاب التكليف للشلمغاني المتوفى ٣٢٢ (المطبوع باسم فقه الرضا) : ٥٥ / تحف العقول لابن شعبة الحراني : ٢٣١ / معادن الحكمة لعلم الهدى ٢ : ٢٩ ـ ٣٠ / متشابه القرآن لابن شهراشوب : ٢٠٠ / بحار الانوار ٥ : ٤٠ ـ ٤١ و ١٢٣ ـ ١٢٤ . روى النصان في بعض هذه المصادر ملخصاً وفي بعضها كاملا ، وهناك اختلافات يسيرة ايضاً في بعض الالفاظ. ويوجد النص في بعض المخطوطات القديمة أيضاً ، منها مخطوطة رقم ١٠٢٢ بالمكتبة المركزية لجامعة طهران التي يأتي النص فيها في ورقة ١٧٤ يتبعه نص الرسالة التي كتبها عبدالملك بن مروان الى الحسن البصري وجوابها . والنص الذي نقلناه أعلاه يوافق هذه المخطوطة الا في السطر الاخير .

الاسلامي ينمو ويتطور من هذا المنطلق ليصل الى مابلغ اليه في الاعصار التالية.

* * *

وكان من أولى الانقسامات الكلامية التى ظهرت بين علماء المسلمين انقسامهم الى المرجئة والقدرية الذي تطور بعد فترة الى مدرستي الاعتزال والاشعرية، يقابلهم مدرسة أصحاب الحديث التى حظرت عن الابحاث الكلامية العقلية بما فيها أبحاث القدر [١]، ونشب الخلاف والتنافس بين أهل الكلام وأهل الحديث ووقع بينهم عداء شديد وسيف وتكفير [٢]، فتبادلا الاتهامات وألف كل من الفريقين ردوداً ضد الاخر وتهجم بعضهم بعضاً، فمثلا كتاب «قبول الاخبار ومعرفة الرجال» لابى القاسم البلخي الكعبي المعتزلي (المتوفى ٣١٧ -- ٣١٩) ألف ضد المحدثين وكتاب «شرف أصحاب الحديث» للخطيب البغدادي و « تأويل مختلف الحديث » لابن قتيبة ألفا دفاعاً عن المحدثين ورداً على المتكلمين.

وزاد في حدة الخلاف ميل السلطة الى أحد الفريقين الذي سبب في خلق الفتن والمحن المعروفة لكل من الجانبين، مما جاء تفصيلا فى المصادر ولاحاجة الى اطالة الكلام فيه. والمعتزلة منهم خاصة وقعوا موقع عداء الفرق الكلامية المختلفه وأصحاب الحديث والسلطة الحاكمة مما ضيق عليهم الارض، خاصة

---

١. بكر بن عبد الله المزنى المصرى المحدث المكثر كان قد عزم على أن لا يسمع قوماً يذكرون القدر الاقام فصلى (الوافى بالوفيات للصفدى ١٠ : ٢٠٧).

٢. راجع كتاب الاتجاهات الفقهية عند اصحاب الحديث لعبد المجيد محمود عبد المجيد (القاهرة - ١٩٧٩) : ٧٨ -- ٨١ وكتاب الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لادم متز ١ : ٢٨٨ - ٢٨٩ وكتاب جرج المقدسى بعنوان
Ibn Aqil et la resurgence de l'Islam traditionaliste au XIe siècle (Damas , 1963) , pp . 327 - 40 .

بعد صدور رسمي بالاعتقاد القادري في سنة ٤٣٣ ، واستمر التضييق والاضطهاد[1] حتى قضى على الحركة في النهاية في القرن السابع الا في اليمن حيث انتقل الاعتزال وعاش حتى القرن العاشر .

في اواخر القرن الخامس كان كثير من العلماء ينتمون بعد الى هذه المدرسة في ضواحي العراق وايران ، وكان خوارزم وخراسان من أماكنهم الرئيسية ، لكنهم كانوا تحت تهجم أصحاب الحديث ـ الذين كانوا متمثلين الان في فئة الحنابلة ـ وكذلك تهجم الاشاعرة والكرامية ، وكان أدب الردود والنقود يدوم وان كانت الغلبة مع الضغوط السياسية والفتن الاجتماعية . والكتاب الماثل بين يدي القارىء الكريم الذي هو في الحقيقة لائحة اتهام معتزلية ضد فرق أهل

---

١. فقد استتاب الخليفة القادر في سنة ٤٠٨ فقهاء المعتزلة ونهاهم عن الكلام والمناظرة في الاعتزال وأخذ خطوطهم بذلك وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامتثل محمود بن سبكتكين الغزنوي أمر الخليفة واستن بسنته في أعماله من خراسان وغيرها في قتل المعتزلة وصار ذلك سنة في الاسلام (المنتظم لابن الجوزي ٧ : ٢٨٧) ولما أخذ محمود بن سبكتكين الري في سنة ٤٢٠ نفى من كان بها من المعتزلة وأحرق كتبهم (الكامل لابن الاثير ٧ : ٣٣٥) ، وفي سنة ٤٥٦ لعنت المعتزلة في جامع المنصور ببغداد ، وجلس بعض العلماء لسب المعتزلة ، وهجم قوم من الاشاعرة على أبي علي بن الوليد شيخ المعتزلة فسبوه وشتموه وأهانوه وجروه (البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩١)، وألزموه بيته مدة خمسين سنة الى أن توفي (نفس المصدر ١٢ : ١٢٩) ، واضطروا أبا الوفاء بن عقيل الفقيه في سنة ٤٦٥ الى أن يحضر في الديوان ويكتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، لما قيل من أنه كان يتردد على هذا الشيخ أبي علي بن الوليد (نفس المصدر ١٢ : ٩٨ و ١٠٥) .

الحديث والاشاعرة والكرامية [1] قد ألف في مثل هذا الجو .

* * *

الامام الحاكم أبو سعد المحسّن بن محمد بن كرامه [2] الـجِشُـمي البروغني البيهقي ، المنتهي نسبه الى الامام علي بن أبي طالب [3]، ولد في قرية جِشُـم [4]

---

١. الكتاب ألف ضد فرق « المجبرة » و « المشبهة » ، ويريد المؤلف بالمجبرة الأشعرية والكرامية والجهمية والضرارية والبكرية والكلابية والنجارية . قال : « ويتسمون بأهل السنة ولانسلم لهم ذلك » (كتابه العيون فى الرد على أهل البدع : ورقة ١١ من مخطوطة رقم B66 بمكتبة أمبروزيانا / كتابه فى نصيحة العامة : ورقة ٢٢ من مخطوطة C 5 بنفس المكتبة) . ويعنى بالمشبهة « الحشوية النابتة أمثال أحمد بن حنبل وداود الاصفهانى» (العيون : ١٢ أ / نصيحة العامة : ٢٣ أ) . قال ابن قتيبة : « أطلق المعتزلة ألسنتهم فى أهل الحديث ولقبوهم بالحشوية والنابتة » (تأويل مختلف الحديث : ٩٦) .

٢. « كرامة » مخففاً لا « كرامة» مشدداً (كما فى الاعلام للزركلى ٥ : ٢٨٩ وغيره) ، على مايشهد به شعر معاصره على بن أبى صالح الخوارى فى مدحه :

ألا يا ضارباً فى الارض أقصر	فما تبغيه عند ابن الكرامة
أقول لمن غدا يبغى مزيداً	عليه علمت أنك فى الكرى، مه
أليس يقابل الطلاب مهما	تلقوه ببر او كرامة
بجشم مبوأ كل صدق	فذا كالريم وهى له كرامة
أبا سعد بقيت فكل شخص	يروم الفضل حقاً منك رامه

(تاريخ بيهق لابن فندق : ٢١٣) .

٣. هكذا : المحسن بن محمد بن كرامة بن محمد بن أحمد بن الحسن بن كرامه ابن ابراهيم بن اسماعيل بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن الحنفية ، ابن الامام على بن أبى طالب (تاريخ بيهق : ٢١٣) .

٤. بكسر الجيم الفارسية وضم السين المعجمة ، من قرى ربع « كاه » ، على جانب قرية بروغن كما ذكره ابن فندق (المتوفى ٥٦٥) فى كتابه تاريخ بيهق : ٣٨ ،

مـن ضواحي بيهق بخراسان في شهر رمضان سنة ٤١٣ ، وقتل بمكة غيلة في الثالث من رجب سنة ٤٩٤ عن واحد وثمانين عاماً ، وكان قتله حسب ماأجمعت عليه المصادر بسبب رسالته المسماة « رسالة ابليس الى اخوانه » . كان في الفقه حنفياً حتى الاخريات من عمره ثم انتقل الى مذهب الزيدية، وفي الاصول معتزلياً من أتباع مدرسة القاضي عبد الجبار [١] بلغت مصنفاته اثنين واربعين كتاباً ، بقي منها:

١) **التأثير والمؤثر** ، فى الكلام ، منه مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٢١١٩ [٢] .

٢) **تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين** ، جمع فيه الايات التى نزلت في أمير المؤمنين علي وسائر أهـل البيت مرتبة بحسب ترتيبها فى السور وعقبها بذكر الاثار والاخبار الدالة على أنها نزلت فيهم . منه مخطوطتان في المكتبة الغربية بالجامع الكبير بصنعاء (رقم ٣٢ مجاميع : ورقة ١ - ٤٧ ورقم ٢٨٧ مجاميع: ورقة ١ -٢٧) [٣] ومصورة بدار الكتب المصرية (رقم ٢٧٦٢٢ ب)[٤].

وهى الان موجودة معروفة بنفس الاسم فى رستاق كاه وداورزن من محال سبزوار (بيهق) على جانب قرية بروغن ، فراجع لغت نامهٔ دهخدا ، حرف چ : ١٩٤ / فرهنگ آباديهاى كشور : المجلد الرابع، سبزوار : ٤٩ والخرائط . وقد خرج من هذه القرية كثير من الفضلاء فى العصور الوسطى، ترى ذكـر عدة منهم فى تاريخ بيهق .

١. فذكر ابن شهرآشوب (معالم العلماء : ٨٣) والعلامة الحلى (ايضاح الاشتباه : ٧١) له فى عداد علماء الامامية مبنى على التسامح أوعدم معرفتهم به ، فالرجل يتهجم على الامامية فى آثاره كثيراً .

٢. الحاكم الجشمى لعدنان زرزور : ٤٩١ .

٣. فهـرس مخطوطات المكتبة الغربية بالجامـع الكبير بصنعاء ، تأليف محمد سعيد المليح وأحمد محمد عيسوى (صنعا ـ ١٩٧٨) : ٦٦ و ٨٢٧ .

٤. الحاكم الجشمى لعدنان زرزور : ٤٩١ .

٣) **التهذيب فى تفسير القرآن** ، فى عدة مجلدات . يوجد في أمبروزيانا وفاتيكان[١] وصنعاء[٢] .

٤) **جلاء الابصار فى فنون الاخبار** . ينقل عنه ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان[٣] ويوجد في صنعاء برقم ١٣٧ حديث[٤] .

٥) **رسالة ابليس الى اخوانه** ، وهى هذا الكتاب .

٦) **السفينة الجامعة لانواع العلوم** ، جمع فيها سيرة الانبياء وسيرة النبي وأحوال الصحابة والعترة الى زمانه ، في أربع مجلدات. توجد في أمبروزيانا[٥] وصنعاء[٦] وغيرهما[٧] ، ونقل منها كثيراً في كتاب « المقصد الحسن » لاحمد ابن يحيى بن حابس الصعدي[٨] وفي « قواعد عقائد آل محمد » للديلمي[٩] وفي كتاب « الترجمان » لابن مظفر وغيرها .

٧) **شرح عيون المسائل** ، فى الكلام ، يوجد فى المتحف البريطاني[١٠]

---

١. انظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧١٣ / الاعـلام للزركلى ٥ : ٢٨٩ .

٢. الفهرس : ١٠ .

٣. أنظر ١ : ١٠١ منه .

٤. الحاكم الجشمى لعدنان زرزور : ١٠٧ – ١١٠ و ٤٩١ .

٥. أنظر بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٦. الفهرس : ٤٠٧ و ٨١٩ .

٧. الحاكم الجشمى لعدنان زرزور : ١١١ و ٤٥٢ .

٨. نفس المصدر : ١١١ .

٩. طبعة شتروطمان (استانبول – ١٩٣٨) : ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

١٠. أنظر بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) .

وأمبروزيانا [١] وايدن [٢] وصنعاء [٣] ، ونشر فـؤاد سيد قسماً منه في مجموعة «فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة» (تونس - ١٩٧٤ ، ص ٣٦٥ - ٣٩٣) .

٨) **عيون المسائل أو العيون فى الرد على أهل البدع** ، هذا الذي شرحه بالكتاب المذكور أعلاه . يوجد في أمبروزيانا [٤] .

٩) **نصيحة العامة أو الرسالة التامة فى نصيحة العامة** ، بـالفارسية ، وتوجد ترجمة منها بالعربية لمترجم متأخر عن المؤلف ، قال في أوله : «هذا كتاب جمعه الامام شيخ الاسلام أبوسعد المحسّن بن محمد بن كرامة الخراساني البيهقي الجشمي رحمة الله عليه بالفارسية . . وسماه الرسالة في نصيحة العامة . فأردت أن يستفيد بهذا الكتاب أصحابنا من أهـل اللغة العربية كما استفاد بـه أصحابنا من العجم ، وما أمكن ذلك الا بأن نقلته الى اللغة العربية .. وظني أنه لايخلو من خلل في عبارة العربية وللناظر فيه والسامع أن يصلحه ويقومه . . » . توجد في أمبروزيانا [٥] وصنعاء [٦] ، وقطعة منها في بيان مذاهب الباطنية في استانبول [٧] ، وقد نشرت هذه القطعة [٨] .

* * *

---

١. فؤاد سيد فى مقدمته على القسم المطبوع منه : ٣٥٧ .

٢. Encyclopaedia of Islam ، الطبعة الثانية ، الملحق : ٣٤٣ .

٣. الفهرس : ١٨١ .

٤. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٥. نفس المصدر ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٦. الفهرس : ٢١٠ .

٧. بروكلمن ، الملحق ١ : ٧٣١ .

٨. نشرها محمد تقى دانش پژوه فى نشريهٔ دانشكدهٔ ادبيات تبريز ١٧ : ٢٩٩-٣٠٦ .

« رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس» هكذا سماها الجنداري في رسالته[1]، وذكرها ابن شهر آشوب [2]، والعلامة الحلي [3] بعنوان « رسالة ابليس الى

للتوسع فى ترجمة الجشمي انظر :

تاريخ بيهق لابن فندق : ٢١٢ - ٢١٣ (وراجع ١٢٥ ، ١٤٥ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ ، ٢٢١).

معالم العلماء لابن شهرآشوب : ٨٣ .

المنتخب من كتاب السياق لتأريخ نيسابور للصريفينى (قم-١٤٠٣) : ٦٩٢ - ٦٩٣

ايضاح الاشتباه للعلامة : ٧١ .

كتاب الترجمان لمحمد بن احمد بن يحيى بن مظفر ، مخطوطة المتحف البريطانى رقم Add 18513 : ٥٨ .

رياض العلماء للافندى ٤ : ٤٠٨ .

أمل الامل للحر العاملى ٢ : ٢٢١ .

نضد الايضاح لعلم الهدى الكاشانى : ٢٦٠ .

نبذة فى رجال شرح الازهار للجندارى (القاهرة-١٣٣٢ مع كتاب المنتزع المختار لابن مفتاح) : ٣٢ .

بروكلمن ١ : ٥٢٤ (٤١٢) والملحق ١ : ٧٣١ - ٧٣٢ .

يادداشت هاى قزوينى ٢ : ١٥٧ - ١٦٢ .

الاعلام للزركلى ٥ : ٢٨٩ (بيروت - ١٩٧٩) .

مقدمة فؤاد سيد على القسم المطبوع من شرح عيون المسائل للجشمى فى مجموعة « فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة » : ٣٥٣ - ٣٥٨ .

الحاكم الجشمي ومنهجه فى تفسير القرآن لعدنان زرزور (دمشق - ١٣٩١)

Der Imam al - Qasim ibn Ibrahim لويلفردماديلونغ : ١٨٦-١٩١

ومقاله عن الجشمى فى Encyclopaedia of Islam الطبعة الثانية ، الملحق : ٣٤٣ .

١. نبذة فى رجال شرح الازهار : ٣٢ .

٢. معالم العلماء : ٨٣ .

٣. ايضاح الاشتباه : ٧١ .

المجبرة » [1] وآخرون بعنوان « رسالة أبي مرة الى اخوانه المجبرة » [2] أو « رسالة الشيخ أبي مرة » [3] ، وهي تبدو بعنوان « الدرة على لسان الشيخ أبي مرة » في مخطوطة صنعاء [4] وبعنوان « رسالة ابليس الى اخوانه من المجبرة والمشبهة في الشكاية من المعتزلة » في مخطوطة طهران ، هذه الرسالة التى قتل المؤلف بسببها ، نقدمها هنا مطبوعة على أساس نسخة مكتبة المجلس بطهران (رقم ١٠٧٢٧ ، ورقة ١٢ ب - ٤٠ أ) المكتوبة في آخر شهر جمادى الاخرى سنة ٧٣٢ . أما نسخة صنعاء (رقم ١ / ٥٨ علم الكلام) المكتوبة في ١٧ شهر جمادى الاخرى سنة ١٣٤٣ فلم نستطع أن نستفيد منها ، والا لامكن أن تعيننا في حل بعض ما أشكل علينا من نسخة طهران .

أما عملي في هذا الكتاب فينحصر فى تقديم النص كما هو في مخطوطة طهران ، من دون تخريج لما يشير اليه المؤلف من الاحاديث والاشعار (عدا بعض الموارد النادرة) ، أو شرح للاراء الكلامية التي يبحث عنها كثيراً في كتب الملل والنحل (أي ما كتب عن الفرق والعقائد الاسلامية) لان ذلك يحتاج الى فسحة من الوقت لاأجد الى ذلك سبيلا . وانما قمت بهذا العمل احياء لاثر

---

١. كتاب الترجمان لابن المظفر : ٥٨ أ .

٢. عدنان زرزور نقلا عن طبقات الزيدية ليحيى بن الحسين ، ورقة ٣٤ من مصورة دار الكتب المصرية (رقم ١٥٦٣٢ ح) ونزهة الانظار ليحيى بن حميد ، ورقة ٢١ من مخطوطة صنعاء (رقم ٩٠ مجاميع) .

٣. زرزور ايضاً نقلا عن مطلع البدور الصنعانى ٤ : ٤١٣ - ٤١٤ من مخطوطة دار الكتب (٤٣٢٢ تأريخ) .

٤. الفهرس : ١٦٢ .

مـن التراث الكلامي الاسلامي ، وهذا ـ كما هو واضح ـ لايعني بوجه من الوجوه الموافقة على ما جاء فيه . والله من وراء القصد .

جامعة برينستن ـ ١٤٠٦ هـ   حسين المدرسى الطباطبائى

بسم الله الرحمن الرحيم

الصفحة الاولى من مخطوطة طهران

الصفحة الاخيرة من مخطوطة طهران

رسالة ابليس الى اخوانه المناحيس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمم بفضلك

توكلت على الله واستعنت به

رسالة أبليس الى اخوانه من المجبرة والمشبهة فى الشكاية عن المعتزلة

وهى ستة عشر باباً :

الباب الاول

فى ماصدر به الرسالة من الشكوى

أما بعد ، معاشر اخواني - كثر الله عددكم وأطال مددكم - لقد علمتم وأيقنتم أنه لاموافقة فوق موافقة الاعتقادات ولامطابقة أعظم من المطابقة في الديانات، جبلت القلوب على حبها حتى يتواصل فيها الاجانب ويتقاطع عليها الاقارب ، ووافقت في ذلك الشريعة الطبيعة ، فوردت فيها الايات والاخبار والنصوص والاثار ونص به الكتاب واتفق عليه ذووالالباب ، فقال الله تعالى : « انّما المؤمنون اخوة »[1] و « المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض »[2] و « المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض »[3].

ورووا أن النبى - صلى الله عليه وعلى آله وسلّم - قال لابي ذر : أتدري أي عرى الاسلام أوثق؟ قال : الله ورسوله أعلم ، قال : الموالاة في الله والمعاداة فى الله والحب فى الله والبغض فى الله . وقال شاعرهم :

ان لم يكن بيننا قربى فآصرة   فى الدين أقطع فيه الوالد الولدا

وقد علمتم أن نوحاً - عليه السلام - لما سأل ربه أن يبقى ابنه أجيب « انّه

---

١. القرآن الكريم ، سورة الحجرات (٤٩) : ١٠ .

٢. سورة التوبة (٩) : ٧١ .

٣. نفس السورة : ٦٧ .

لَيسَ مِن أهلِكَ »[1] لمخالفته لك في دينك «وكانَ مِنَ المُغرَقينَ »[2] مع الكافرين ، وأن لوطاً ـ عليه السلام ـ بشر بالنجاة « الا امرأتَهُ كانَت مِنَ الغابِرينَ »[3]، وابراهيم ـ عليه السلام ـ لاجل الدين خالف أباه، وأشرك موسى في النبوة أخاه ، وأن آسية تبرأت من فرعون وان عذبت بالاوتاد ، وحزبيل تبرأ منه وقال: «أتَقتُلُونَ رَجلاً ان يَقُولَ رَبّي اللهُ وَقَد جاءَكُم بِالبَيِّناتِ مِن رَبِّكُم »[4] ، وأن أبا لهب عد أجنبياً وان كان هاشمياً ، وعد سلمان أهلياً وان كان فارسياً . كل ذلك بناء على الموافقة في الشريعة والتناصر في الملة والتقارب في النحلة .

ولقد علمتم معاشر اخواني مابيني وبينكم من موافقة الاعتقاد ومايجمعني واياكم من خلوص الوداد، فاناعتمادي عليكم واعتدادي بكم وانقطاعي اليكم، وانتم الذابون عني والسالكون على سنتي، فينوبني مانابكم ويروبني مارابكم ، فأنتم مني وأنا منكم ، وكأنّ الشاعر عبّر عنّا وعنانا بقوله :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا فـاذا أبصرتني أبصرتنا [5]

ولقد علمتم معاشر اخواني ما لقيت و [عانيت] من هؤلاء المعتزلة قديماً

---

١. سورة هود (١١) : ٤٦ .

٢. نفس السورة : ٤٣ .

٣. سورة الاعراف (٧) : ٨٣ .

٤. سورة غافر (٤٠) : ٢٨ .

٥ . تمامه ـ على مافي رسالة السوانح في العشق لاحمد الغزالي : ١٩ (طبع هلموت ريتر ، استانبول ـ ١٩٤٢) : ٧ ، وغيرها من المصادر الكثيرة ـ هكذا :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحـن روحـان حللنا بدنا
فـاذا أبصرتنـي أبصرتـه واذا أبصرتـه أبصرتنا

وحديثاً . ولقد عظمت فتنتهم واشتدت شوكتهم وعلت كلمتهم وظهرت مقالتهم وحجتهم وكنت أحسبهم فى الانس فاذاهم فى الجن أكثر ومذاهبهم أكثر وعددهم أوفر، قد طبقوا البر والبحر والسهل والجبل، فلابلد الاولهم فيها داع ومدرس وخطيب ومصنف يصرخون بمذاهبهم على المنابر ويملأون الدنيا بالكتب والدفاتر.

وقد جمعت بينهم وبين اخواننا من مجبرة الجن كثيراً وتدبرت مع خواصي فى شأنهم تدابير فلم ينفذلي فيهم حيلة ولامكيدة . كنت أطمع فى كل مرة أن أفحمهم فأفحمونا وأرجو أن أقطعهم فقطعونا وأؤمل أن أفضحهم ففضحونا ، وبلغ من أمرهم أن قابلوني بقبيح الفعال وجبهوني واياكم باللعن وسوء المقال. وفي كل ذلك أنتم الذّابون عنّي والناضلون دوني. ولكن لاينفع التوازر والقتال ولاينجع فيهم المقال . ان قاتلناهم هزمونا وان قاولناهم أفحمونا وان تركناهم لعنونا ، وان قلنا نحسن العشرة تلوا: « لا تَجِدُ قَوماً يُؤمِنُونَ بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ يُوادّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسُولَه » [1] ، وان طلبنا الموافقة قرأوا : « قُل يا أيّها الكافِرونَ » [2]، وان رمنا المصالحة تلوا : « قاتِلوا الّذينَ لايؤمنون بالله » [3] ، وأنشدوا :

ليس بيني وبين قيس عتاب غير طعن الكلا وضرب الرقاب [4]

واذا قلنالهم دعوا ماأنتم فيه فقد وقعتم في تيه، قالوا أشيء نقدر على تركه؟ فان قلنا « نعم » قالوا تركتم المذهب ، وان قلنا « لا » سخروا منا واستهزؤا بنا

---

١. سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢. سورة الكافرون (١٠٩) : ١ .

٣. سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٤. ورد البيت فى العقد الفريد لابن عبدربه ٣ : ٤٧٣ (طبعة أحمد أمين) منسوباً الى رجل من الاعراب .

وقالوا فاذاً السكوت أحرى. ولقد ضاق صدري وعيل صبري، وقد كتبت اليكم اخواني ما جرى بيني وبينهم من المقامات ومالقيت ولقيتم من النكايات ، تحقيقاً لماذكرت وتصديقاً لما قدمت ، لنكون يداً واحدة عليهم ومتعاونين على دفعهم .

وقد علمتم اخواني أن من الواجب فى الدين نصيحة الاخوان والاتباع ، وبذل الامانة للاشياع . ألا واني أبلغكم ما لاتعلمون، وأنصح لكم فأنالكم ناصح أمين . فاجتنبوا مجالسهم ومدارسهم ، ولاتستمعوا الى كلامهم ومواعظهم ، وجنبوا أشياعكم وعوامكم ونساءكم وصبيانكم ، فان لكلامهم حلاوة وعليه طلاوة تحير ذوى الالباب وتدخل فى القلب بلاحجاب . ومن عظيم فتنتهم أن سموا أنفسهم بالموحدة العدلية وسمونا بالمجبرة القدرية ، فرمونا بالالحاد ونسبونا الى الفساد .

ولقد مررت بقاصّ من الجن يتكلم فى قوله تعالى « وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ »[1] وهو يقول : يا معشر الجن ! الجهاد أربعة : جهاد النفس بالصبر عن العصيان ، وجهاد الكفار بالسيف والسنان ، وجهاد أهل البدع بالحجة والبرهان ، وجهاد أهل الكبائر بالموعظة والبيان . ثم قال : أما جهاد النفس فقد قال الله تعالى : « فَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى »[2] وانه تعالى قدم الحجة وبيّن المحجة وأعطى الالة وأزاح العلة ، ووعد وأوعد ، فكل من عصى فمن قبل نفسه أتى، وان العبد مخيّر فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُر[3] . وأما

---

١. سورة الحج (٢٢) : ٧٨ .

٢. سورة النازعات (٧٩) : ٤٠ .

٣. سورة الكهف (١٨) : ٢٩ .

جهاد الكفار وأرباب الضلال فمن أعظم الطاعات، قال الله تعالى: « وَجاهِدوا في الله حَقَّ جِهادِهِ »[1] وهو من دعائم الاسلام وأركان الدين . وأما جهاد أهل البدع ـ وهم المجبرة والمشبهة ـ فمن أعظم الامور وفرض على الجمهور، وقدقال الله تعالى: «ادعُ الى سبيلِ ربِّكَ بالحِكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجادِلهُم بالتي هيَ أحسنُ »[2] ، فلافتنة أكبر من فتنتهم ولاضلالة أعظم من ضلالتهم ، حيث شبهوا الله بخلقه وأضافوا القبيح الى صنعه ، وقد بلغنا من رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في ذم المبتدعة آثار جمة ، فقال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام، وقال لعائشة وقد سألته عن قوله تعالى« انَّ الَّذين فَرَّقُوا دينَهُم»[3] من هم؟ قال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ : هم أصحاب البدع من هذه الامة ، يا عائشة ! لكل ذنب توبة الا أصحاب البدع فانه ليست لهم توبة ، أنا منهم بريء وهم مني براء . وأما جهاد أهل الكبائر فقوله تعالى « وَأمُر بالمعروفِ وانهَ عَنِ المُنكَرِ »[4]. والقوم حوله يبكون واياي واياكم يلعنون. فأخذني ماقرب وما بعد ، ولاأقدر على منع ولاأجد عوناً على دفع .

ولقد مررت بقاص منهم يقصّ والقارىء يقرأ : « ويَومَ القِيامَةِ تَرى الَّذين كَذَبُوا عَلى الله وُجُوهُهُم مُسودَّة »[5] وهو يقول : بلغنا عن

---

١. هـذا تكرار للاية الاولى ، والانسب قوله تعالى : « ياأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم » (سورة التوبة ـ ٩ ـ : ٧٣) .

٢. سورة النحل (١٦) : ١٢٥ .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٥٩ .

٤. سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

٥. سورة الزمر (٣٩) : ٦٠ .

الحسن وجماعة من العلماء قالوا : يؤتى بالشيطان يوم القيامة فيقال لـه : هلا سجدت اذ أمرت ؟ قال: فيقول الشيطان لاني ماقدرت عليه ولامكنت منه وحيل بيني وبين السجود وخلق في الاباء ، ولوخليت لسجدت . فقيل له : كذبت بل من قبل نفسك أتيت. فقال: لي شهود يشهدون على ماقلت ، فينادى: أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن؟ فيقول جماعة المجبرة : صدق الشيطان، ويشهدون له، فيخرج من أفواههم دخان أسود يسود وجوههم ثم يبعث به معهم الى النار . وذكر عن علي - عليه السلام - حديثاً طويلاً أن المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان وقدرية هـذه الامة ومجوسها . والقوم يرفعون أصواتهم باللعن علـي وعليكم ، ويقولون لعن الله الشيطان وأتباعه وأشياعـه . فقال بعض المشايخ : فمن كان معي أيها الشيخ ؟ اليك المشتكى فى عظيم هـذه البلوى ، دبرنـا في أمرهم . فقام معتزلي من الجن ، فقال : التدبير هـو الصبر أو القبر ، ثم أنشأ يقول :

رب من أشجاه ذكري   وهو لم يخطر ببالي

قلبـه ملان مـن بغ   ضي و قلبي منه خالي

ولقد مررت بقاص من أصحابنا شيخ كبيروحوله جماعة من أصحابنا وهو يقص، فقرأ قارىء قوله تعالى «وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةَ وَأَقُلْ لَكُمَا انَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ »[1]. فقال ذلك الشيخ : أيها القوم ! الصدق منجاة ، ماذنب الشيطان فى الوسوسة؟ وما ذنب آدم وحواء في أكل الشجرة ؟ أما علمتم أنه خلق الوسوسة فى الشيطان ومنعه عن خلافه ، وأراده منه وقضاه عليه ، وخلق الاكل فيهما ولم يقدرا تركه وأراد منهما الاكل ، ثم يقول : « أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةَ » الايـة ،

---

١. سورة الاعراف (٧) : ٢٢ .

فمن الشيطان حتى يقدر على شيء ؟ ومن آدم وحواء حتى يقدرا على اكل الشجرة ؟ الكل من الله . وبكى وبكى الناس حوله وقالوا : صدقت! فقام من غمار الناس معتزلي أخذته الرعدة وعينه تفيض من الدمع ، وقال : أف لكم يا معشر المجبرة وسوأة لكم ! أتبرئون الشيطان وتوركون الذنب على الرحمن ؟ أما تستحيون من ربكم؟ أما لكم عقل يردعكم؟ أما لكم دين يمنعكم؟ أفٍّ لكُم ولِما تَعبُدونَ مِن دونِ اللهِ أفَلا تَعقِلُونَ ؟ [1] وارتفعت الضجة وتفرق الناس ، وأنا شاكر لسعيكم ذاكر لما كان منكم .

واجتمع عندي المشايخ يتذاكرون ماجرى . فقام معتزلي من الجن وقال : ياقوم لِمَ لم يسجد هذا الشيطان لادم وقد أمر به ؟ فقالوا: لانه منع منه بموانع كثيرة ، لم يخلق فيه السجود و [لا] قضاه ولاأراده ولاأقدره عليه ، بل خلق فيه تركه وأراده وقضاه ، وخلق فيه القدرة الموجبة لتركه وأغراه بتركه وزين ذلك في قلبه ، ثم كلفه مالايقدر عليه ، فما ذنب المسكين؟ فقال معتزلي: فلماذا عاقبه ؟ فقالوا : الملك ملكه ، لوعاقب آدم وسائر الانبياء والابرار وأثاب فرعون وسائر الكفار كان عدلا منه . فقال لهم : بعداً لكم وسحقاً مع هذه المقالة ! فقصدوه بالنعال فهرب . وعرفتم حقي وقضيتم ذمامي .

ولقد جمعني واياكم واياهم مجلس فقرأ قارىء : « ألَم أعهَد إلَيكُم يا بَني آدَمَ أن لاتَعبُدوُا الشَّيطانَ انهُ لَكُم عَدُوٌّ مُبين . وَأنِ اعبُدُوني هذا صِراطٌ مُستَقيمٌ . وَلَقَد أضَلَّ مِنكُم جِبِلّاً كثيراً » الاية [2] ، فقال صدر من صدور المجبرة وشيخ من مشايخهم : ماذنب هذا المسكين يلعنه ويوبخه ؟ أليس خلق فيه العداوة والاضلال، فما بال هذا الاعتلال؟ فقال القوم : صدقت!

---

١. سورة الانبياء (٢١) : ٦٧ .

٢. سورة يس (٣٦) : ٦٠ – ٦٢ .

وقام معشر من المعتزلة وقالوا : كذبت وكذبوا ! بل الله بريء من ذلك. ولعنوني واياكـم ، وارتفعت الضجة ، وتعدى المقال الـى القتال ، وتفرقنا ونحن على شر حال .

وحضرني جماعة من المشايخ يوم عيد وشكوا المعتزلة وقالوا : فعلوا بنا كذا وقالوا لنا كذا، واذاً واحد من غمار الناس يصيح ويقول: من فعل ذلك ومن قال ؟ أنحن فعلنا فقد تركتم مذهبكم ، أو الله فعل فارضوا بقضائه والا كفرتم .

فلقد علمتم مافعل الناقص[1] بأخينا الوليد[2] حين خرج عليه في الغيلانية[3]، وسمعتم مافعل من الافاعيل بالمروانية ، وبلغكم مانالوا بـه أصحابنا فى أيـام العباسية، ومافعله المأمون[4] وأقرانه بنا من تشتيت كلمتنا والاغراء بأهل مقالتنا، وماجرى من القتل والصلب أيام ابن ابي دواد[5] ، وماكان من قطع الالسن أيام

---

١. هو يزيد بن الوليد بن عبدالملك بن مروان ، الخليفة الاموى . ثار على ابن عمه الخليفة الوليد بـن يزيد وقتلـه واستولى على الخلافة فى مستهل رجب ١٢٦ ، ومات فى ذى الحجة من نفس السنة . قيل انــه كان أعدل بنى أمية بعد عمر بن عبد العزيز .

٢. هـو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الامويين . ولى الخلافة بعد عمه هشام بن عبد الملك فى سنة ١٢٥ ، فمكث سنة وثلاثة اشهر ، ونقم عليه الناس سوء سيرته وحبه للهو فبايعوا ابن عمه يزيد الناقص وقتلوه .

٣. فرقة من القدرية ، أتباع غيلان بن مسلم الدمشقى الذى كان يقول بأن القدر خيره وشره من العبد ، وأن الامامة تصلح فى غير قريش ولا تثبت الا باجماع الامة . قتله هشام بن عبد الملك الاموى .

٤. هو عبد الله بن هارون الرشيد ، سابع الخلفاء العباسيين . ولى الخلافة بعد خلع اخيه الامين فى سنة ١٩٨ ومات فى سنة ٢١٨ .

٥. هو القاضى أحمد بن ابى دواد الايادى المعتزلى، قاضى قضاة المعتصم ثم الواثق العباسيين . مات فى سنة ٢٤٠ .

ابن عباد [1] ، وماكان من نصرة العلوية الخارجين في نصرة الاعتزال، وماجرى على أصحابنا من ملوك آل بويه من الاذلال ، ثم ماكان في أيام ركن الدولة [2] من محن جمة وبلية وغمة من شيخ مصفوع ومجلس مرفوع ومذهب مدفوع .
ولقداجتمعت معتزلة من الجن علي وعلى أتباعي وعلى أعواني وأشياعي واخواني من المقال والفعال، فنحن بين ثلاث: بين فقيه منبر[٥] منكوس وحظه مبخوس ونجمه منحوس ، وبين ثان فى السجن محبوس واه من الذل والصغار ملبوس، وبين ثالث ترك عمره ودخل بغمة قبره ، فاليكم المشتكى وبكم المستعان .

---

١. هو الصاحب اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقانى ، استوزره مؤيد الدولة البويهى ثم أخوه فخر الدولة . مات فى سنة ٣٨٥ .

٢. هو الحسن بن بويه الديلمى ، من كبار الملوك فى الدولة البويهية . استمر فى الملك ٤٤ سنة ، ومات فى سنة ٣٦٦ .

الباب الثانى

فى التوحيد والتشبيه

فكرت وقلت : مدار هذا الامرعلى التوحيد وبذلك باينت هذه الفرقة سائر الفرق وهذا الدين سائـر الاديان ، وعلمت أن مما أجمعوا عليه وعلم مـن دين الرسول ـ صلى الله عايه وعلى آله وسلم ـ ضرورة أن الله تعالى واحد لاثاني له ولاشبه له ولامثل لـه ، وأني ان ألقيت اليهم خلاف ذلك لايقبلون ، فدبرت وأتيت من خلفهم وأيمانهم وشمائلهم كما وعدت ، وقلت : لابد لهذا الامر من تحصيل ولهذه الجملة مـن تفصيل . فألقيت اليهم التثنيـة والتثليث معنى وان خالف لفظاً ، وقلت : ان مع الله قدماء : قدرة قديمة وعلم قديم وحياة قديمة ، حتى ألقيت القدماء التسع وأكثر .

فقبلتم عني أحسن قبول وصنفتم فيـه الكتب ودرستم بذلك في المدارس وناظرتم في ذلك فى المجالس . غير هؤلاء المعتزلة من الجن والانس فانهم أبوا أشد الاباء وقابلوني بالعداوة والبغضاء ، وقالوا : هذا موافقة للمانوية فى التثنية ، وللنصارى فى التثليث ، وللطبائعية فيقدم الطبائع الاربعة ، وللمنجمين فى القول بقـدم الكواكب السبعة . وانما الدين القويم بأن الله واحـد قديم وماسواه محدث ، فهذا موافقة جمل دين المسلمين وماأتى به خاتم النبيين .

وزاد شيخنا أبو عبد الله بن الكرام[1] حتى عد قدماء كثيرة وسماها أعراضاً

---

١. هو محمد بن كرام السجزى النيسابورى ، امام الكرامية . ولد بسجستان وجاور بمكة سنين ثم انتقل الى نيسابور ، ومات بالقدس سنة ٢٥٥ .

وأغياراً. فكفرهم المعتزلة بذلك، وذكروا في ذلك حججاً وتلوا: « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ»[1].

وذكروا أن نصرانياً كان يناظر في الكلام، فاذا أتاه مجبر قال: أليس أن الله خلق فيّ الكفروأنا لاأقدر على تركه؟ فقال: نعم [فقال:] فما معنى مناظرتك؟، واذا أتاه مشبه قال: أنت ياأخي زدت علي! فاني قلت ثالث ثلاثة وأنت تقول رابع أربعة وخامس خمسة وتاسع تسعة، واذا جاء المعتزلة فقال: خذ السلاح وآخذه فالقتال بيني وبينك.

فصل

فكرت وقلت: ان ألقيت اليهم عبادة الوثن لايقبلون، وألقيت ماهو في معناه. فألقيت اليهم بأن الله ذوصورة وذوأعضاء، له وجه وجنب ويدوساق وعين ولسان، وأنه جسم. وأما المعتزلة فقابلوني بالرد وقالوا: هذه عبادة الاوثان ونعوذ بالله من نزعات الشيطان، وذكروا أن الله تعالى ليس بجسم ولاعرض ولايشبه شيئاً، وأنه تعالى ليس له أعضاء ولاأكفاء وأنداد وأضداد، وأنه واحد لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ[2]، وأنه لو كان جسماً لكان مؤلفاً مركباً مصوراً محدثاً - تعالى الله عن ذلك -. وأماأنتم فقبلتم أحسن قبول وصنفتم فيه التصانيف ورويتم فيه الاحاديث ووضعتم فيه الاسانيد، وفصلتم عضواً عضواً وجعلتم لكل عضو باباً ودونتم في كل باب كتاباً وسميتموها مذاهب السنة والجماعة.

فسئل شيخنا الهليلجي عن قوله تعالى « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ » مامعناه مع قولك أنه جسم ذو أبعاض وأعضاء؟ فقال: هذا لامعنى له!

---

١. سورة المائدة (٥) : ٧٣.

٢. سورة الشورى (٤٢) : ١١.

وسئل أحمد بن عباس عن قوله تعالى : « وانَّ لَـهُ عِـنـدَنا لَـزُلفى » [1] ، قال : هو الدنو . وكان يقول [2] بالمؤانسة والمجالسة والمحادثة والخلوة .

وسأل بعضهم عن قوله تعالى « عِـندَ مَـليكٍ مُـقتَـدِرٍ [3]» فقال : يقعده معه [على] سريره ـ ويغلفه بيده ـ .

وسأل بعضهم معاذ العنبري [4] : أله وجه؟ قال : نعم ، لاكالاوجه . قلت : فعين؟ قال: نعم ، حتى عددت جميع الاعضاء من أنف وأذن وصدر وبطن وهو يقول نعم ، فاستحييت أن أذكر الفرج فأوميت بيدي الى فرجي ، فقال : نعم! فقلت : ذكر أو أنثى؟ قال : ذكر! ففرح القوم . غير هؤلاء المعتزلة فانهم لعنوه وكفروه .

ولقد شكرنا جميعاً سعي ابن خزيمة [5] فى تصنيفه كتابـاً في أعضاء الله ، وذكره مايشهد . وذكر بعض أصحابنا أنه أشكل عليه من أعضائه لايجد [6] ذلك

---

١. سورة ص (٣٨) : ٢٥ ، ٤٠ .

٢. من هنا الى آخـر قصة فاطمة ويزيد ورد فى شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٣ : ٢٢٤ ـ ٢٢٧ (من طبعة محمد ابـو الفضل ابراهيم) غير منسوب ، وقد أكملنا النص هنا فى بعض المواضع على أساس المنقول .

٣. سورة القمر (٥٤) : ٥٥ .

٤. هو القاضى معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان التميمى البصرى ، من المحدثين . ولى قضاء البصرة للرشيد وبها توفى سنة ١٩٦ .

٥. هو أبو بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة السلمى النيسابورى ، من ائمة الحديث . توفى سنة ٣١١ . طبع له كتاب « التوحيد واثبات صفة الرب » ، ولعله مايشير اليه المؤلف أعلاه .

٦. كذا فى الاصل .

في الكتاب والسنة وهو أنه ذكر أوأنثى ، فقيل له انه أنزل : « وَلَيسَ الذَّكَرَ كالأُنثى » [1] ، فقال : أفدت وأجدت ! وأودعه كتابه .

ودخل انسان على معاذ بـن معاذ [2] أيام التشريق ـ وهو شيخ جليل مـن مشايخنا ـ وبين يديه لحم سكباج يأكله ، فسأل عن مسألة التشبيه ، فقال : هو والله مثل الذى بين يدي ، لحم ودم .

وشهد معتزلي عند معاذبن معاذ وعدل، فقال: لقد أحببت أن أسقطك لكنك عدلت ، لاني سمعت أنك تلعن حماد بن سلمة [3] . فقال : أما حماد فلم ألعنه ، ولكن ألعن من روى أنه تعالى ينزل يوم عرفة على جمل أحمر في قفص مـن ذهب ، فان كان حماد يروي هذا فهو ملعون . فقال : أخرجوه ! فأخرجوه .

وعن محمد بن أبى الاسود خرجنا الى المصلى يوم عيد ، واذا جماعة مع الامير يضرب بالطبول ويؤتى بالاعلام . فقال واحد من خلفنا : اللهم لاطبل الا طبلك ! فقيل له : لاتقل فليس لله طبل . فبكى وقال : أرأيتم وهو يجيء وحده ويجلس وحده ولايضرب بين يديه طبل ولاينصب [على رأسه] علم ؟ اذاً هـو أدون من هذا الامير ! فانظر كيف رد على هذا المعتزلي .

وروى مشايخنا أنه تعالى أجرى خيلا فخلق نفسه من عرقها ، وأنه لما أراد خلق آدم رأى صورة نفسه فخلق آدم على صورته .

ورويتم أنه تعالى يضحك حتى تبدو نواجذه .

ورويتم أنه أمرد جعد قطط في رجليه نعلان من ذهب ، [وأنه] في روضة

---

١. سورة آل عمران (٣) : ٣٦ .

٢. هو معاذ العنبرى الذى مر ذكره آنفاً .

٣. هو حماد بن سلمة بن دينار البصرى ، مفتى البصرة وأحد رجال الحديث . توفى سنة ١٦٧ .

خضراء على كرسي تحمله الملائكة، وأنه يضع رجلاعلى رجل ويستلقي وأنها جلسة الرب .

ورووا أنه خلق ملائكته من زغب شعر ذراعيه .

ورووا أنه يحاسب الناس يوم القيامة وهو على صورة آدم .

ورووا أن له حجباً يحجبونه .

ورووا أنه اشتكى عينه فعادته الملائكة .

ورووا أنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال : رأيت ربي في أحسن صورة فسألته في مايختلف الملأ الاعلى فوضع يده بين كتفي فوجدت بردها فعلمت ما اختلفوا فيه .

ورووا أنه ينزل الى السماء [الدنيا] فى النصف من شعبان .

ورووا أنه جالس على العرش قد فضل منه أربعة أصابع فيقعد معه النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وذلك المقام المحمود .

ورووا أنه يأتي يوم القيامة فيقول : أنا ربكم ! فيقولون : نعوذ بالله منك ! فيقول : أتعرفونه ان رأيتموه ؟ فيقولون : بيننا وبينه علامة ! فيكشف لهم عن ساقه وقد تحول فى الصورة التى فيها فيعرفونه [1] .

ورووا أن العرش اذا رضي الله خف واذا غضب ثقل فيعرف غضبه ورضاه .

ورووا أنه يأتى فى غمام تحته هواء وفوقه هواء.

ورووا أن له خنصراً وبنصراً وابهاماً ، فتركوا السبابة والوسطى وعدوا بأصابعهم .

وذكر بعض المعتزلة يوماً ـ وقد حضر مجلساً ـ : أنتم يامعشر المشبهة ترون

---

١. فى شرح النهج : فى الصورة التى يعرفونها فيخرون له سجداً .

الحديث وضده ، كما قال بشر بن المعتمر [1] :

تروي أحاديث وتروي نقضها مخالف بعض الحديث بعضها

ثم تصححون الجميع ولاتعرفون وتروون مالاتعلمون . مثلكم كما قال الله تعالى « كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ اسفاراً » [2] . ثم أخذ في رواية معائب مشايخنا فقال : من عجيب أمركم أن شيخاً من شيوخكم روى حديثاً فقال : حدثني فلان عن فلان عن النبي عن جبريل عن الله **عن رجل** ! فقيل : هذا لايكون . فنظروا فاذا هو **عزوجل** .

وذكر الفقيه أبو الاسود قال: كان بطبرستان قاص يقص من المشبهة ، فقال [يوماً فى قصصه] : ان يوم القيامة تجىء فاطمة ومعها قميص الحسين تلتمس القصاص من يزيد، فلمارآها الله من بعيد قال ليزيد: أدخل تحت العرش لاتظفر بك فاطمة ، فيدخل [ويختبىء] ، وتمثلت فاطمة بين يدي الرب وبكت ، فقال : يا فاطمة ! أنظري الى قدمي به جرح من سهم نمرود وقد عفوت عنه فاعفي عن يزيد ، فعفت فاطمة عن يزيد .

وروى آخر حديثاً فقال: وجدت فى كتابي «الرسول» ولاأجد «الله» فاكتبوا شك الشيخ فى الله !

ومرض أبو علي الحافظ النيسابوري [3] ، فدخل عليه أبوالقاسم الزجاجي يعوده ، فأخرج اليه كتاب وصية يشهده عليه ، فقال : هذه وصية لابنتك وهذا لايجوز ،قال : لاأأخذ بقياسكم وانما نقول بالاحاديث. فقال : ليس هذا بقياس،

---

١. هو أبوسهل بشر بن المعتمر الهلالى البغدادى، من كبار المعتزلة. توفى سنة ٢١٠.

٢. سورة الجمعة (٦٢) : ٥ .

٣. ورد ذكره فى المنتخب من السياق فى تاريخ نيسابور للصريفينى : ٦ و ٢١٣ (من طبعة قم ــ ١٤٠٣) ، وهو من رجال المائة الرابعة .

هذا نص رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ : لاوصية لوارث . قال: هـذا الحديث لي مكتوب مسموع بستة عشر اسناداً لكن لم أعلم أن الوصية للبنت لاتجوز .

ودخل بعض الفقهاء على يحيى بن معين [١] ، فلما خرج سئل عنـه فقال : دينه شك وفتياه وقف وكلامه طعن! قيل : وكيف؟ قال: اذا قيل له أمؤمن أنت؟ قال ان شاء الله ، فاذا سئل عن مسألة روى أقاويل الناس ، فاذا قيل بـم نأخذ ؟ وقف ، واذا قيل قتادة [٢] قال قدري ، واذا قيل جابر [٣] قال رافضي . ثـم أنشأ يقول :

ولابن معين في الرجال مقالة ويسأل عنها والمليك شهيد
فان كان صدقاً فالمقالة غيبة وان كان كذباً فالعذاب شديد

وأنشد بعض المعتزلة يوماً بحضرة جماعة من مشايخنا ، مشافهاً لهم :

ياخائضاً في غمرة الشكوك مفكراً في صفة المليك
كفكرة المشبه الركيك فكرك فيه مالك الملوك
لمالك ليس بذي شريك لايدرك المالك المملوك

وحضرت يوماً مجلساً قـد جمعهم وايانـا ، فقال بعض المعتزلة للمشبهة : أتقولون لله يد ؟ قالوا : نعم ، قال : لم ؟ قالوا : لقوله تعالى « يَـدُ اللهِ فَـوقَ

---

١. هو يحيى بن معين بن عـون بن زياد البغدادي ، مـن أئمة الحديث . عاش ببغداد ومات بالمدينة سنة ٢٣٣ .

٢. قتادة بن دعامة الدوسي البصري ، من حفاظ الحديث . كان يرى القدر . مات سنة ١١٨ .

٣. جابر بن يزيد الجعفي الكوفي، تابعي، من رجال حديث الشيعة . مات سنة ١٢٨ .

أيديهِم » [1] ، قال : فقل له يدان لقوله تعالى « بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ »[2]، قال : كذا أقول ، قال : فقل لـه ثلاثة أيدي لقولـه تعالى « مِمَّا عَمِلَتْ أيدينا » [3] . فانقطع . ثم قال له : أتقول له عين ؟ قال : نعم . قال : لم ؟ قال: لقوله تعالى « وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي »[4]. فقال له : فقل له أعين لقوله تعالى « تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا » [5] . وقال : ألستم تقولون أن كلتا يديه يمين؟ قال : بلى! قال : وهل شيء أقبح من هذا ؟ فانقطع .

ولما فشى ذكر الصورة والاعضاء بين مشايخنا وقامت المعتزلـة فى الرد عليهم وصنفوا ، ألقيت الى كثير منهم أن المجادلة فى الدين حرام وأن الحق فى التقليـد ، والواجب أن لايلتفت الى كلام المعتزلـة وجدالهم ، فالصواب فى التمسك في ماألفيتموه عن سلفكم . فأما داود [6] وأحمد بن راهويه [7] وأمثالهم قبلوا قولي وصوبوا رأيي وأقاموا على اعتقادهم، وأما القلانسى [8] وابن كلاب[9]

١. سورة الفتح (٤٨) : ١٠ .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣. سورة يس (٣٦) : ٧١ .

٤. سورة طه (٢٠) : ٣٩ .

٥. سورة القمر (٥٤) : ١٤ .

٦. هو داود بن على بن خلف الاصفهانى ، امام الظاهرية . مات سنة ٢٧٠ .

٧. هو اسحاق بن ابراهيم بن راهويه التميمى المروزى ، من أئمة الحديث . أخذ عنه احمد بن حنبل والبخارى ومسلم وغيرهم . مات بنيسابور سنة ٢٣٨ .

٨. هو أبوالعباس القلانسى ، المذكور اسمه وبعض آرائه الكلامية فى كتب الملل والنحل ، كملل الشهرستانى : ١٤٨و٣٣ (طبعة محمد بدران، القاهرة-١٣٦٦).

٩. هو عبدالله بن محمد بن كلاب القطان ، من نابتة الحشوية ورأس الفرقة الكلابية . مات بعد سنة ٢٤٠ . وهو أول من عرف عنه القول بقدم كلام الله .

وطبقتهم رأوا أن شيئاً من ذلك لايصح على النظر وأوقعوا أنفسهم في تيه بمجادلة المعتزلة. قلت لابد فيهم من تدبير، فألقيت اليهم أن اليد ليس هو الجارحة وانما هو صفة للباري ، وكذلك العين والساق والجنب صفات ، وأن الاستواء على العرش ليس هو الاستقرار ولكن صفة له . فقالوا : أحسنت أنت ! وطلبقوني[1] ودمعزوني[2] وناظروني في ذلك ودونوا وصنفوا .

وأنكرت المعتزلة أشد انكار، وابتدأوا بالرد علي وعليكم بأن هذا لايعقل وهو فاسد لادليل عليه، وهل هذا الا نصرة عباد الاصنام وهدم الاسلام. والله المستعان.

فصل

فكرت وقلت : ليس في اثبات التشبيه أمر أقوى من اثبات الرؤية ، فألقيت اليكم بأنه تعالى يرى، فوافقتموني وقررتم عيني ورويتم فيه الاحاديث ووضعتم الاسانيد ، ورويتم أن محمداً ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ رأى ربه ليلة المعراج وأنه قعد معه على عرشه ، وتأولتم الايات على ذلك .

وقامت المعتزلة في الرد علي وعليكم ، وقالوا الرؤية توجب التجسيم والتجسيم يوجب الحدوث ، واحتجوا بقوله تعالى « لاتُدرِكُهُ الابصارُ »[3] وبقوله « لَن تَراني »[4] ، ورووا عن عائشة أنها سئلت هل رأى محمد ربه؟ فقالت : لقد قف شعري مما قلت ثلاثاً ! من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية على ربه وقد قال : « لاتُدرِكُهُ الابصارُ »[3]، ومن زعم أنه يعلم مافي

---

١. طلبقوني ـ قالوا : أطال الله بقاءك .

٢. دمعزوني ـ قالوا : أدام الله عزك .

٣. سورة الانعام (٦) : ١٠٣ .

٤. سورة الاعراف (٧) : ١٤٣ .

غد فقد قال تعالى : « وَمَا تَدري نَفسٌ ماذا تَكسِبُ غَداً »[1] ومن زعم أنه لم يبلغ شيئاً لانه قال : « بَلِّغ ما انزِلَ اليكَ مِن رَبِّكَ »[2] . وعنها وقد سئلت [عن] ذلك فقالت: أنا أول من سأله وقال : رآه قلبي ولم تره عيناي. ثم زادت الشيوخ ، فقالت الحنابلة بالمجالسة والمصافحة ، وقالت الكرامية[3] بأنه يرى من فوق كما يرى السماء .

ولما قامت المعتزلة بالرد عليهم وعلم الشيخ الاشعري[4] أن ذلك لايتم على النظر قال يرى بلاجهة وكيف ، فجعله من باب ما [لا] يعقل - تلبيساً وتدليساً - وجرى ذلك فى العامة . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا زدت فى الفساد ، فان القوم أثبتوا معقولا وأنت أثبت شيئاً لايعقل .

فصل

فكرت وقلت: من أصول هذا الباب اثبات المكان، فألقيت بينهم أنه تعالى فى مكان وأنه على العرش ، فقبلتم أحسن قبول واعتقدتم ذلك وناظرتم فيه . غير هؤلاء المعتزلة فانهم قالوا المكان يوجب التجسيم ، والجسم يكون محدثاً . وقالوا: ماجاز أن يكون في مكان جاز أن يكون في غيره ، وذلك يوجب جواز

---

١. سورة لقمان (٣١) : ٣٤ .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٧ .

٣. هم أتباع محمد بن كرام السجزى النيسابورى، الماضى ذكره . بقوا فى خرسان حتى أوائل القرن السابع الهجرى . وكانوا يقولون بأن الله تعالى مستقر على العرش وأنه جوهر ، الى غير ذلك من آرائهم الشاذة .

٤. هو أبوالحسن على بن اسماعيل الاشعرى ، امام المذهب الاشعرى. ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٣٢٤ .

الحركة والسكون والزوال والانتقال . وقالوا : ماالفرق بين ملك على سريره وبين الرب على كرسيه على هذاالمذهب؟ وهل هذاالامناقض لقوله تعالى «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»[1] وقوله «وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكُم مِنْ حَبْلِ الوَرِيد»[2].

حضرت يوماً مجلساً وفيه جماعة من مشايخنا ومن المعتزلة ، فجرى مسألة العرش ، فقال شيخ منا : انه تعالى يقول: «الرَّحْمنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوى»[3] و على يقتضي الفوق. فقال المعتزلي: فقل في قوله تعالى « اذ وُقِفُوا عَلى رَبِّهِم»[4] أنهم فوقه. فانقطع. وروى بعضهم أنه تعالى خاق آدم على صورته، فقال المعتزلي : فاذاً يجب أن يكون مؤلفاً مركباً محدثاً كما كان آدم . قال : فما معنى الحديث ؟ قال : ان صح فالمراد قيل [5] رأى رجلا فقال ان آدم كان على صورته ، وقيل أراد أنه خلقه على ماكان عليه من غير انتقال من حال الى حال . فقالوا : الصواب أن لانمكن المعتزلة من حضور مجلسنا والكلام في أنديتنا فانهم يشوشون علينا المذهب فأخرجوه . فخرج وهو يقول :

فلو كنت الحديد لفلقوني ولكني أشد من الحديد [6]

ولقد زادت شيوخنا من الكرامية ، فقالوا انه تحله الاعراض ويخلو منه كما فى الاجسام سواء . وزادت الحنابلة فقالوا بالصعود والنزول. وأنكرت المعتزلة

---

١. سورة الشورى (٤٢) : ١١ .

٢. سورة ق (٥٠) : ١٦ .

٣. سورة طه (٢٠) : ٥ .

٤. سورة الانعام (٦) : ٣٠ .

٥ . كذا فى الاصل .

٦. البيت فى عيون الاخبار لابن قتيبة ١ : ٢٥٦ (طبعة دار الكتب) منسوباً الى رجل من بنى الديل ، وفيه : « لكسرونى » .

ذلك فقالوا : ليس له مكان ولايجوز عليه الانتقال ولاتحله الاعراض، اذلوجاز أن يحلـه بعض الاعراض جاز أن يحله الجميع ، ولان ما حلـه العرض يكون محدثاً .

الباب الثالث

فى العدل

تأملت أحوال هذه الملة فوجدتهم بأجمعهم يقولون انه تعالى عدل لايظلم ولايجور ، وأن جميع أفعاله حق وجميع أقواله صدق ، وذكروا أن ذلك في دين الرسول يعلم ضرورة وأن الكتاب نطق به نصاً ، وعلمت أني لودعوتهم الى مخالفة هذا الظاهر لايروج ولايقبل . فدعوتهم الى أمور تفصيلها ينقض هذه الجملة واثباتها يرفع هذه الكلمة . فأول ماألقيت اليهم : أنه لايقبح منه شيء لان الامر أمره والملك ملكه ، وأنه ليس بمأمور ولامنهي ولامملوك ولامربوب وانما يقبح الامور لهذه الوجوه . ثم ثنيت عليه أن جميع القبائح منه ، وأنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه ، وأنه يعذب بغير ذنب ويعذب واحداً بذنب آخر ، وأنه يخلق المنارقوماً ويكلف مالايطاق أخرى ، الى غيرذلك . فقابلتموني بالقبول وصدقتموني في ماأقول ودنتم به ونصرتموه .

وأنكرت المعتزلة هذا الاصل أشد انكار ، وقاموا وقعدوا في أبطاله ، وقالوا هذا ينقض الاصل المجمع عليه وماأشار النص اليه ، وقالوا : لاظلم أعظم من أن يعذب بغيرذنب أو يخلق الكفرثم يعذب عليه ، وذكروا أن القبيح قبيح من كل فاعل وأنه يقبح لوجه يرجع اليه ، ودلوا على ذلك بأنه لوقبح للنهي لحسن للامرفكان لايحسن منه شيء ، وقالوا : لوجاز ماقلتم لجاز أن يظهر المعجزعلى [ايدي] الكذابين فيحسن منه ، ولجاز أن يكذب في اخباره فيحسن ، ولجازأن

يرسل رسولا يدعوالى الباطل فيحسن . وقالوا : لوقبح للنهي لاختص بمعرفته من عرف النهي . وأيدوا كلامهم بآي من الكتاب ، ورووا الاخبار عن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وأصحابه .

فأماأنتم اخواني وساداتي فما خالفتموني في ذلك كصنيع المعتزلة ، بـل قبلتم ورويتم في ذلك الاحاديث وقلتم : انه يعذب الاطفال بذنوب الاباء ، ويحمل ذنوب المسلمين على اليهود والنصارى ، وانه لوعذب الانبياء وأثاب الفراعنة لايقبح منه ، ولوأضل العالمين وعذبهم لايقبح ، وانه خالق عبادة الاوثان وسب نفسه وقتل الانبياء والاولياء وكل كفر وضلال .

اجتمع عندي نفرمن مشايخنا ومن المعتزلة، فاذأ قرأ قارىء : « وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ »[1] ، فقال رجل من المعتزلة : لأحد أشد حباً لله من المعتزلة ، فقيل له : لم ؟ قال : لانهم قالوا هو المنعم بضروب من النعم ومنـه كل الخيرات ولاشرفى أفعالـه ولاقبح فى قضاياه ، يرجى من عنده كـل خير ويؤمن كل شر ، يثيب على القليل الكثير ويعفو عن السيئات ، ومـن كان هذا حاله فلاحب فوق حبه ، والمجبرة تزعم أن كل شر من عنده وأنه لايؤمن شره بل لايؤمن من شره من عبده مائة سنة أن يدخله النار وأن يخلق فيه الكفرو ينزله مع الكفار ، فمن هذا اعتقاده فيه كيف يحبه ؟

وقص سيفويه القاص[2] فقال في قصصه : من أنت حتى لايظلمك الله ياعاض بظر امك ؟ نعم يظلمك هو اناً لك ويعذبك بغيرجرم ويخلق فيك الضلال ويأخذ

---

١. سورة البقرة (٢) : ١٦٥ .

٢. ورد ذكره وبعض أخباره فىالبصائر والذخائر لابى حيان التوحيدى (دمشق ـ ١٩٦٦ بتحقيق ابراهيم الكيلانى) ٤ : ٥٨ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٨٦ وأخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزى (النجف ـ ١٣٨٦) : ١٢٢ ـ ١٢٣ وغيرهما .

به ويكلفك مالاتستطيع . فقام معتزلي من بين المجلس وقال : تباً لك مع هذه المقالة ، هذا سوء ثناء على رب العالمين . فقالوا : أخرجوه ولاتستمعوا اليه.

وذكر أبو عامر الانصاري وهوعدلي لمجبر : تعال حتى نصدق وننتصف وننصف ، أليس يجوز عندك أن يعذب الله رجالا لم لم يكونوا نساء ، ويعذب نساء لم لم يكونوا رجالا ، ويعذب سوداً لم لم يكونوا بيضاً ، ويعذب بيضاً لم لم يكونوا سوداً، كما يعذب الكفار۔ مع خلق الكفرفيهم ۔ لم لم يكونوا مؤمنين، ويكون منه حسناً عدلاوان كان مثل ذلك منا جوراً ؟ قول : نعم . قال : فهلاجاز أن يقول: هلكت عاداً ولم يهلكهم ، وأقيم القيامة ولايقيمها ، ولايكون كذباً منه وان كان كذباً منا ؟ فسكت . ثم قال : لاقول أشنع من هذا ، لقد عزمت على الرجوع ورجعت عن هذا القول. فقام القوم اليه بالنعال وقالوا : أتوهن مذهبنا وتضعف مقالتنا ؟

وقرأ قارىء قوله تعالى « فَأينَ تَذهَبُونَ » [1] ، فقال معتزلي يكنى أبا عمران [2] : لو كان الامر كما تزعمونه يامعشرالمجبرة لكان لهم أن يقولوا يذهب بنا، فلم يكن لهذا القول معنى. كما روي أن مجبراً سئل أين تذهب؟فقال: لاأدري! حيث يذهب بي ، ثم قال : وهل هذا الاصفة المجنون ؟ وكما يحكى عن أبى العيناء [3] أن رجلا وقع في الماء فقيل له أين تذهب ؟ فقال السؤال على الماء!

وسئل معتزلي : لم قلت ان الله تعالى لايضل؟ قال قوله : «قُل ان ضَلَلتُ

---

١. سورة التكوير (٨١) : ٢٦ .

٢. لعله أبو عمران الرقاشي أو أبو عمران يونس بن عمران ، وكلاهما من متكلمى المعتزلة فى القرن الثالث (راجع طبقات المعتزلة للقاضى عبد الجبار : ٢٧٩ و ٢٨٣ – ٢٨٤ من طبعة فؤاد سيد) .

٣. هو محمد بن القاسم البصرى الهاشمى، من ظرفاء الدهر . اشتهر بنوادره ولطائفه. مات سنة ٢٨٣ .

فانّما أضِلُّ علىٰ نفسي وإنِ اهتديتُ فبِما يُوحي إليَّ ربّي»[1] فأمره أن ينسب الضلالة الى نفسه ورضي بهذا القول له مذهباً ، أفلا ترضون بذلك ؟ فانقطع المجبرة[2] .

فصل

ومما ألقيت اليهم من هذا الجنس أن الله تعالى يضل عن الدين ويخلق الضلالة عن الحق المستبين ويزين الكفر في قلوب الكافرين ويكره اليهم الاسلام والمسلمين،

---

١. سورة سبأ (٣٤) : ٥٠ .

٢. كتب فى هامش هذه الصفحة من الاصل بخط مشابه لخط الاصل مايلى :

« ذكر السيد أبـو طالب الحسنى فى كتابه الموسوم بملحق الافادة : حدثنى مشايخنا أن محمد بن جرير لعنه الله ! حضر مجلس الداعى محمد بن زيد وكان أبو القاسم البلخى حاضراً فقيل لمحمد بـن جرير : سل أبا القاسم عـن مسألة ، فقال له ابن جرير : أتقول ان الله يملك السماوات والارضين وجميع مايحدث فيهما ؟ فقال أبو القاسم : نعم ، فقال ابن جرير : اذا كان الله مالكاً لجميع مايحدث فى السماوات والارضين فما الذى تنكر من أنه خالق له ؟ فقال لـه أبو القاسم ـ وأومى الى غلمان أتراك كانـوا وقوفاً حوالى سرير الداعى ـ : أتقول ان هؤلاء الغلمان قد ملكهم الداعى وهـو مالك لهم ؟ قال : نعم. قال : فالداعى خلقهم ؟ فخجل ابن جرير المجبر لعنه الله ! » .

« ذكر أبو أحمد الحسن بن [عبد الله بن] سعيد العسكرى فى الكتاب الموسوم بالمواعظ والزواجر : حدثنا محمد ، قال حدثنا عبيد بـن الحسن بن يوسف ، قال حدثنا سليمان بن داود ، قال حدثنا حفص بن غياث ، عن حجاج ، عن [ابن أبى] مليكة ١) ، عن ابن عباس ، قال : سبحان الله تنزيه الله نفسه عن السوء . وكيف ينزه الله من يزعم أن السوء كله من الله ؟ » .

---

١. هو أبو محمد عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة التيمى المكى ، تابعى ، روى عن ابن عباس وغيره مـن الصحابة وروى عنه كثيرون ، ولى قضاء الطائف لابن الزبير، ومات سنة ١١٧ (راجع ايضاً تاريخ بيهق: ١٦٠ والعقد الفريد ٤ :٨) .

فقبلتم ذلك وقلتم صدقت !

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يهدم الدين ويناقض كلام رب العالمين ،وتلوا: «وَ أضَلَّ فِرعَونُ قَومَهُ وَمَا هَدى»[١] و«أضَلَّهُمُ السّامِريُّ »[٢] و « رَبِّ انَّهُنَّ أضلَلنَ كَثيراً مِنَ النّاسِ »[٣]، وقالوا : يستحيل أن يأمر بشيء ويحث عليه ثم يضل عنه وينهى عن شيء ثم يخلقه فيه .

وقال بعض المعتزلة لمجبر : ممن الحق ؟ قال : من الله ، قال : من الحق ؟ قال : الله . قال : فممن الباطل ؟ قال : من الله . قال : فمن الباطل؟ فسكت [٤].

واجتمع عند جعفر بن سليمان [٥] أبو الهذيل [٦] ومكنف المجبر وهو لا يعرف أبا الهذيل . قال أبو الهذيل : أريد أن أسألك شيئاً وأتعلم منك . فقال : سل . فقال : خبرني عن طفل بالغ فوقع في قلبه أن الله واحد ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال : الله . فقال : أوقع في قلبه الحق وصدقه في ما ألقاه ؟ قال : نعم .

١. سورة طه (٢٠) : ٧٩ .

٢. نفس السورة : ٨٥ .

٣. سورة ابراهيم (١٤) : ٣٦ .

٤ ذكرت القصة في الفهرست لابن النديم : ٢٠٥ (من طبعة تجدد ، طهران ـ ١٣٩١ وهي ساقطة من طبعة فلوجل) كمناظرة بين عمرو بن فائد المعتزلي وأبو المنذر سلام القارىء المجبر . وانظر أيضاً الطرائف لابن طاوس (قم ـ ١٤٠٠) : ٣٣١ .

٥. لعله جعفر بن سليمان بن علي العباسي ، والي المدينة للمنصور ووالي البصرة للرشيد ، وهو الذي ضرب مالك بن أنس بالسياط . مات بالبصرة (المعارف لابن قتيبة : ٣٧٦ من طبعة القاهرة ـ ١٩٦٠) .

٦. هو محمد بن الهذيل البصري العلاف، من كبار المعتزلة. توفي بسامراء سنة ٢٣٥.

قال : فطفل آخر وقع في قلبه أن الله ثالث ثلاثة ، من أوقع ذلك في قلبه ؟ فقال: الله . قال : فألقى الحق وصدقه في ما ألقاه؟ فسكت مكنف. فقال جعفر : ياحمار! هذا أبو الهذيل .

ودعى مجبر مجوسياً الى الاسلام ، فقال : الامر ليس الي. فقال : صدقت! ومضى .

وحضر غلام عبد الله [1] بن داود [2] - وكان مجبراً - مجلساً ، فقرأ قارىء « ما مَنَعكَ أن تَسجُدَ » [3] ، قال : هو والله منعه ، ولو قال ابليس ذلك كان صدقاً ، وقد اخطأ ابليس فى الحجة ، ولو كنت حاضراً لقلت : أنت منعته [4].

فقال معتزلي من طرف المجلس : بعداً لك وسحقاً ! أتحتج لابليس ولايحتج لنفسه ؟ فانقطع [5]. فقرأ قارىء « وَأنَ عَلَيكَ لَعنَتي الى يَوم الدّين » [6]

---

١. فى الاصل : عبد أمية .

٢. ورد ذكره فى عداد متكلمى المجبرة فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (طبعة فلوجل) . والظاهر أنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن داود الخريبى الكوفى ، المحدث، المتوفى سنة ٢١١ (معجم البلدان لياقوت ٢ : ٤٣١ من طبعة ووستنفلد) أو ٢١٣ (المعارف لابن قتيبة : ٥٢٠ من طبعة القاهرة - ١٩٦٠).

٣. سورة ص (٣٨) : ٧٥ .

٤. نقل البياضى هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم (طهران - ١٣٨٤) ١ : ٣٨ .

٥. كتب فى الهامش بخط مشابه لخط الاصل مايلى :

« وعندى أن يعترض هذا المجبر على وجه آخر وان يقال له : أنت أشفق للشيطان منه على نفسه . أوما سمعت قول ابليس حيث قال : « فبعزتك لاغوينهم أجمعين » ؟ حكى محمد بن عبدالحميد عن محمد كياء البخارى، قال حدثنى اصفاهان بن على - وهو ولد الشيخ ظ - قال : حضرت مجلس مجبر بقزوين وكان المجبر رجلا عالماً فسئل بأى [شئ] كفر ابليس ؟ فقال : قد قال علماؤنا فى ذلك كلاماً ولكن

فقال المعتزلي : معاشر المجبرة ! أليس الله تعالى قد لعن أشياء وأقواماً ؟ قالوا : نعم . قال : فهل فى العالم غيره اوغير خلقه ؟ قالوا : لا . قال : فيلعن نفسه أو خلقه ؟ فتحير القوم وانقطعوا .

وقال معتزلي لمجبر : الزنا خير للزاني أم تركه ؟ فقال : الزنا . قال : لم ؟ قال : لان الله قضى ذلك عليه ، وقضاء الله له خير ! فقال : تباً لك أن تقول الكفر خير له من الايمان والزنا خير من الاحصان .

ونظيره مايحكى عن بعضهم أنه قال : ازنية أزنيها أحب الي من عبادة الملائكة ! فقيل له : ولم ؟ قال : لعلمي أن الله تعالى قضاها علي ، ولم يقض الا ماهو خير لي [1] .

وخطب بعض المعتزلة فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : أيها الناس لا أحد أقبح ثناء على رب العالمين من هؤلاء المجبرة حيث قالوا : يأمر بما لم يرد وينهى عما أراد ثم يقضي بما

عندي وجه آخر لايمكن لاحد أن يعترض عليه ، فانما كفر لانه قال « لاغوينهم أجمعين » فأضاف الاغواء الى نفسه وهو من الله لامن فعل ابليس ، فلذلك كفر .
قال الفقيه اصفاهان : ماكنت أعرف شيئاً يمكن أن نعترض عليه ، وسألت كثيراً من علمائنا فما أجابوا بشيء . فقلت لفقيهنا البخاري : ماتقول فى اعتراضه ؟ فقال : لا أدري . فقلت : عندي اعتراض على هذا الكلام بحيث يجعله كأن لم يكن . فقال : ماهو ؟ قلت : نقول له ماكفر ابليس لهذا وانما كفر لقوله الاخر حيث قال « رب بما أغويتني » فأضاف الاغواء الى الله وهو من فعل ابليس ، فكفر لهذا لانه قال ان الله ظالم حيث أغواه ثم يعاقبه على ذلك . واستصوبه استاذي محمد كياء البخاري » .

٦. سورة ص (٣٨) : ٧٨ .

١. نقل البياضي هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

نهى عنه ثم يعذب عليه ، وانه يخلق فعلا ثم يقول لم فعلتم ؟ ويغضب على ماخلق وقضى وأراد ، ويأمر بشيء ويحول بينه وبين ماأمر به ، ويقضي أمراً ثم يأمر القضاة والولاة والغزاة رد ماقضى وقدر وأراد وخلق ، وأمر بحدود يقام على شيء خلقه ، فأمر بجلد الزاني - وخلق فيه الزنا - وقطع السارق - وهو الذي قدر فيه السرقة - ، وجعل مال زيد رزقاً لعمرو وخلق أخذه ثم قال لم أخذت ؟ وعاتبه عليه ، وأنه خلق الكفر وكره الايمان وبعث الانبياء دعاة الى خلاف مراده وضد قضائه . فانظر الى سوء ثنائهم الى ربهم ، وانظر الى حسن ثناء أهل العدل على الههم حيث قالوا : انه حكيم أمر بما أراد ونهى عما كره ، وقضى الايمان ورضيه وأحبه وزينه ، ونهى عن الكفر وكرهه وغضب عليه وسخطه ، كما قال الله : « وَلكِنَّ اللهَ حَبَّبَ اليكُم الايمانَ وَزيَّنَهُ في قُلُوبِكُم وكَرَّهَ اِليكُمُ الفُسُوقَ وَالعِصيانَ » [1]، وانه بعث أنبياءه بالحق ليدعوا الى الحق الذي أراده ، وأنزل الكتاب ليهتدوا به ، وهدى الى الدين وماأضل أحداً من العالمين ، وانه يثيب من أطاعه ويعاقب من عصاه ، فاحمدوا الله على الدين وقولوا : الحمد لله رب العالمين .

وسأل عدلي مجبراً : هل تملك من أهلك ومالك شيئاً ؟ قال : لا . قال : فما تملكه منهم جعلته في يدي ؟ قال : نعم . قال : اشهدوا أن نساءه طوالق وعبيده أحرار وماله صدقة فى المساكين . فكانت ممن تقول بالعدل ، فتحولت عن منزله وسألت العلماء ، فأفتوا بوقوع ذلك كله . وصارت ضحكة وشهرة [2] .

وسألت جماعة عمرو بن فائد [3] - وهو معتزلي - عن القدر ، فقال :

---

١. سورة الحجرات (٤٩) : ٧ .

٢. نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ - ٦٠ .

٣. هو أبو على عمرو بن فائد الاسوارى البصرى ، من متكلمى المعتزلة . توفى حوالى سنة ٢٠٠ .

أقيموا ربكم مقام رجل صالح ، حتى أنكم ان كان ماقيل حقاً فلا تعاتبوه وان كان باطلا فلا تتهموه . وأنشد :

من لـم يكـن لله متهماً   لم يمس محتاجاً الى أحد

وأراد مجبر الخروج الى مكة وودع أهله وبكى، فقيل له : سيحفظهم الله ! قال : ماأخاف عليهم غيره ! فقال معتزلي : كذبت! أتخاف وهو أرحم الراحمين؟

وبعث محمد بن سليمان[1] الى رجل يقال انه معتزلي فدعا بالسيف والنطع، فدخل وهو يضحك ، فقال : تضحك فى مثل هـذه الحالة ؟ فقال : يامحمد بن سليمان ! أرأيت لو قام رجل فى السوق فقال: ان محمد بن سليمان يقضي بالجور ويجمع بين الزانيين ويريد الفواحش ، فاعترضه رجل فقال : كذبت بل يقضى بالحق ولم يرد الجور ولايفعل الفواحش ، فأيهما أحب اليك ؟ قال : من دفع عني وأحسن الثناء علي قال: فاذاً لاأبالي بعدما أحسنت الثناء على رب العالمين. فانقطع ومن حوله من المجبرة . قال محمد : اذهب ولاتذكر الا بخير [2] .

وجاء رجل الى منزل عبد الله بن داود [3] وكان غائباً ، فلما رجـع قال : كنت أصلح بين قوم . فقيل : أصلحت ؟ قال : أصلحت ان لم يفسد الله ! فقال واحد : كذبت ! ألله لايفسد بل هو المصلح الحسن الثناء ، وتسيء الثناء على ربك . فانقطع .

---

١. هو محمد بن سليمان بن علي العباسى ، أمير البصرة فى أيام المهدى والرشيد . مات سنة ١٧٣ .

٢. نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٣. مضى ذكره . والقصة مذكورة فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل).

قال داود الاصفاهاني [1] للموفق [2] : قد أهلك الناس أبو مجالد [3] . قال : قطعك أبو مجالد ، الله تعالى أهلك الناس أو أبو مجالد ؟

ومر معاذ بن معاذ [4] بلص يقطع ، فالتفت اليه وقال : انه لمظلوم ، يخلق فيه السرقة ثم يؤمر بقطعه . قال عدلي: أما رضيت ياجاهل بأن أضفت السرقة اليه تعالى حتى نفيته عن اللص ، فأضفت اليه الامر بالقطع على شيء فعله هو ، ولو وصف بهذا قاض لكان سوء ثناء فكيف برب العالمين .

وجاء خراساني الى أبى الهذيل وسأله عن العدل ، فقال : ياخراساني من جاء بك من خراسان؟ قال : الله . قال: من جاء باللص حتى قطعوا عليك الطريق؟ قال : الله . قال : فمن جاء بالسلطان حتى قطع أيديهم ؟ قال : الله . [قال :] فاذاً الله فعل جميع ذلك حيث جاء بك من خراسان وجاء باللص ليذهب مالك وجاء بالسلطان ليقطع يده ، هذا فعل حكيم ؟ فانقطع وتاب .

ودعا مجبر فقال : يارب ! أفسدتنا فأصلحنا . فقال عدلي: أسكت لا أم لك! هو المصلح .

وقيل لهشام بن الحكم [5] : أترى الله كلف عباده مالا يطيقون ثم يعذبهم عليه ؟ قال : والله قد فعل ذلك ولكن لانجسر أن نتكلم .

---

١. داود بن على الظاهرى . مضى ذكره .

٢. هو الموفق بالله طلحة بن المتوكل جعفر العباسى، آلت اليه ولاية عهد أخيه المعتمد وقام بأعباء الملك فعلا ، ولكنه لم يل الخلافة اذ مات فى أيام اخيه سنة ٢٧٨ .

٣. هو أحمد بن الحسين البغدادى ، من متكلمى المعتزلة فى القرن الثالث واستاذ أبى الحسين الخياط مؤلف الانتصار . توفى سنة ٢٩٨ .

٤. هو معاذ العنبرى ، الماضى ذكره .

٥. هو ابو محمد هشام بن الحكم الكوفى ، من كبار متكلمى الامامية . صنف كتباً كثيرة . توفى حوالى سنة ١٩٠ .

وعن بعضهم قال : رأيت مجبراً في المنام فقلت له: مافعل بك ربك ؟ قال : هو على قولكم ، قدري !

واجتمع جماعة بطرسوس يرمون الهدهد ويشتمونه ، فقيل : ماذنبه ؟ قالوا : هو قدري حيث قال : « وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم »[1] فأضاف العمل اليهم والتزين الى الشيطان ، وجميع ذلك فعل الله تعالى . قال : أنتم تنفون الذنب عن الشيطان وتصفون به الرحمن ؟

وذكر أبو محمد المزني[2] ـ وكان ظريفاً ـ فقال : اذا أعطيت كتابي يوم القيامة قلت عرفت مافيه ولكن أسأل عن شيء أتيته أنا باختياري أوخلق فيّ ولم أقدر على تركه ؟ فان قالوا « فعلته باختيارك » قلت : يارب العبد الضعيف أخطأ وأساء وعلى عفوك وفضلك توكل ، فان عفوت فبرحمتك وان عذبت فبعدلك ، ولوقالوا «بل خلق فيك وقضى عليك وأنت تعذب عليه» قلت: يامعشر الخلائق ! العدل الذي كنا نسمع به في دار الدنيا ليس هاهنا منه قليل ولا كثير[3] .

وقال أبو الهذيل لحفص[4] القرد[5] : هل في المعلوم شيء الا الله وخلقه ؟

---

١. سورة النمل (٢٧) : ٢٤ .

٢. فى متشابه القرآن لابن شهر آشوب : ١٩٦ « أبومحمد المدائنى » .

٣. نقله البياضى فىالصراط المستقيم ٣ : ٦٠ وابن شهر آشوب فىمتشابه القرآن : ١٩٦ .

٤. هو أبو عمرو المصرى البصرى ، متكلم مناظر ، ينسب الى القول بالجبر ، عاش فى النصف الاول من المائة الثانية .

٥. كذا فى الاصل هنا وفى سائر الموارد التى ذكر اسمه فىالكتاب ، وورد بهذا الشكل أيضاً فى المحيط بالتكليف للقاضى عبدالجبار : ٤١٥ ، ونقل عنه مايمكن أن يكون وجه تلقيبه بهذا اللقب . فالظاهر أنه الاصح ، لا « الفرد » بالفاء كما ورد فى سائر المصادر .

قال : لا . قال : يعذب على نفسه أوخلقه ؟ فانقطع [1] .

وقال معتزلي لمجبر : لم قلت بالاجبار ؟ قال: ألقيناذنوبنا على ربنا واتكينا على جنب ! فقال : أيش ألزمكم بعد هذا ؟

وقال آخر لمجبر : لم سمي الظالم ظالماً ؟ قال : لانه فعل الظلم . قال : فمن خلق الظلم ؟ قال : الله . قال : فهلا سميته ظالماً ؟ فانقطع [2] .

وقال آخر لمجبر : من نهى عن الزنا ؟ قال : الله . قال : ومن خلقه وأراده ؟ قال : الله . قال : ومن عابه وأوجب عليه الحد ؟ قال : الله . قال : كيف نهى ثم خلق ثم عاب ؟ فانقطع وأنشد :

لاتنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم [3]

ثم قال العدلي : ان قوماً من بني اسرائيل خرجوا للاستسقاء ، فأوحى الله الى نبيهم لاأسقيكم وفيكم رجل غماز ، فقال : يا رب ! من هو حتى نخرجه ؟ فقال : لا أعيب شيئاً ثم أفعله . وأنشد لمحمود الوراق [4] :

---

١. يأتى تمام القصة فى الباب الخامس، ونقلها البياضى فى الصراط المستقيم ٣: ٥٩.

٢. هذه مناظرة وقعت بين أبى على الجبائى المعتزلى وصقر متكلم المجبرة ، فراجع طبقات المعتزلة للقاضى عبدالجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) . ونقل القصة ابن شهرآشوب فى متشابه القرآن : ١٢١ .

٣. البيت لابى الاسود الدئلى ، وهو فى ديوانه (طبعة محمد حسن آل ياسين ، بيروت ــ ١٤٠٢) : ٤٠٤ .

٤. هو محمود بن الحسن الوراق ، شاعر من أوائل المائة الثالثة ، أكثر شعره فى المواعظ والحكم . توفى حوالى سنة ٢٢٥ . والشعر لم يرد فى ديوانه المطبوع (بغداد ــ ١٩٧٩ من جمع عدنان العبيدى . وجمع محمد زهدى يكن ، بيروت ــ ١٤٠٣) . كما ليس فيه الابيات الخمسة التى نقلها له الشيخ المفيد فى أماليه (قم ــ ١٤٠٣) : ١٠٨ ــ ١٠٩ .

ولا تلزم الذنب المقادير جاهلا وأنت ولى الذنب ليس المقادر

فلو كان للمقدور فى الذنب شركة لكان له حظ من الذنب وافر

واختصم عدلي ومجبر بين يدي بعض الولاة ، فلما قام [المجبر] اعتمد بيديه على الارض وقال : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء . فقال العدلي : ماهذا الشيء الذي لايضر مع اسمه شيء فى الارض ولا فى السماء ؟ وعندك لاضرر الا من قبله . فانقطع .

وقال مجبر لعدلي : أرأيت لو كان لي قطعة طين ألي أن أعمل ماأحببت ؟ قال : نعم . قال : ألي أن أعمل منه ثلاث جرار ، معوجة ومكسورة وصحيحة ، ثم أطبخها بالنار ؟ قال : نعم لكن بشرط أنها لو خرجت كذلك لا تسأل عنها لم صارت معوجة ومكسورة وصحيحة . ثم قال : وأنا أسأل . قال : سل . قال : ماتقول في رجل غرس في بستان له خوخاً لم يغرس غيره ، ثم قال لغلامه اذهب الى البستان فايتنى بكل فاكهة ، فقال الغلام : ليس فى البستان الا الخوخ ، قال اذهب فأحرقه ! لم لم يكن فيه سوى الخوخ ، أهذا حكمة ؟ قال : لا . قال: فكيف جوزت على ربك أن يخلق كافراً ثم يعذبه لم لم يكن مؤمناً ؟ فانقطع[1].

وقال مجبر يوماً : يا مصلح المفسدين ! فقال عدلي له : لم قلت ذلك ؟ قال : لان الصلاح منه . قال : فقل على مذهبك يا مفسد المصلحين ! لان الفساد منه . ففكر ثم قال : يلزمني ذلك لكنه قبيح . فسكت .

وسأل آخر مجبراً فقال : أليس تقرر فى العقول الاحسان الى الولي والاساءة الى العدو ، وأن من فعل ذلك يكون حكيماً ومن فعل ضده وصف بالسفه ؟ قال: نعم . قال : أرأيت رجلا عبد الله مائة سنة وآخر عبد الوثن مائة سنة ، فخلق فى الاول الكفر وأدخله فى النار وفى الثاني الايمان وأدخله الجنة ، أليس عدوه

---

١. نقلة البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

أحسن حالا من وليه ؟ فانقطع .

وحكى بعض المعتزلة أن امير المؤمنين - عليه السلام - مر بقتلى نهروان فقال : تعساً لكم ! لقد ضركم من غركم . فقال بعضهم : من غرهم ؟ قال: الشيطان والنفس الامارة بالسوء والاماني . فقال مجبر : كان علي معتزلياً والله! فالله غرهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك الموارد .

وسأل عدلي مجبراً عن قوله تعالى « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً »[1] هذا الكيد كيد الله أم كيد غيره ؟ فان قلت : كيد الله فكيد ضعيف ، وان قلت : كيد غيره فهو ما تقول ، ان كيد الله حق وكيد الشيطان باطل . فانقطع .

فصل

جمعت يوماً بين معتزلة الجن ومجبرة الجن للمناظرة ، فقال معتزلي : يلزم على مذهب الجبر هدم الدين فقيل : ولم ؟ قال : خذوا: انهم يلزمهم نفي الصانع لانهم اذا لم يثبتوا فى الشاهد صانعاً فاعلا لم يكن فى الغائب ، ويلزمهم نفي النبوات لانهم اذا جازوا عليه كل قبيح لا يؤمن أن يظهر المعجز على كذاب وأن يبعث رسولا يدعو الى الضلال ، ويلزمهم ان لايكون للبعثة معنى لانه اذا أضل أحداً فلا معنى للبعث اليه واذا هدى أحداً فلا معنى واذا كان هو الخالق لهذه الافعال فلا معنى للرسول والكتاب، ويلزمهم ابطال الجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستحالة تغيير ما فعله هو فكأنه أمر بالجهاد لاعدام مايوجده هو وايجاد مايعدمه هو ، ويلزمهم أن لايصح اثبات قادر فى الشاهد لانه هو الخالق للافعال ، ويلزمهم أن لايصح اثبات عالم لان الفعل خلقه ولانه يوجد بقدرة موجبة

---

١. سورة النساء (٤) : ٧٦ .

فيلزمهم أن يصح أن يفعل العبد الاجسام لو وجد فيه القدرة، ويلزمهم بطلان الأمر والنهي والمدح والذم لان الافعال مخلوقة فيهم وهم مجبرون عليها ، ويلزمهم تكليف مالايطاق وتكليف العاجز والزمن بالمشي والاعمى بالنظر . وأخذ يعد ذلك والقوم سكوت وهو يوبخهم ، حتى تفرقوا .

الباب الرابع

فى القضاء والقدر وذكر القدرية

ولقد فكرت في مسألة القضاء والقدرفوجدت لي فيها مجالاوفى المقام مقالا، فألقيت اليكم بأن الكفر وجميع المعاصي بقضاء الله وقدره ،فقبلتم مني وجعلتم ذلك عمدة لكم وأحلتم كل قبيح يحدث فى العالم على القضاء والقدر .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد الانكار وقالوا: مامعنى قولكم كل شيء بقضائه؟ ان أردتم « بخلقه » فمعاذ الله أن يكون الكفر بقضائه وخلقه ،وان أردتم « بأمره» فهو خلاف الاجماع لانهم أجمعوا أنه لايأمر بغير الطاعات، وان أردتم « العلم والبيان » فنحن نقول انه يعلم جميع الاشياء قبل كونها لانه عالم لذاته لايخفى عليه خافية فى الارض ولافى السماء .وقالوا: ثبت في دين النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أن الرضا بقضاء الله واجب ، فلوكان الكفر بقضائه يوجب الرضا به ، والرضا بالكفر كفر ، وتلوا قوله تعالى : « وَلاَ يَرضى لِعِبادِهِ الكُفرَ » [1] . وقالوا : من قال انه يرضى فقد خالف النص . وقاموا على رأس هذا الامر ، فأعياني أمرهم وبهتني شأنهم .

واجتمعت أنا وهم في مجلس فجرى ذكر القدرية وأنهم مجوس الامة على ماوردت به السنة . فقالت المعتزلة : القدرية هم المجبرة لوجوه أربعة :

---

١. سورة الزمر (٣٩) : ٧ .

أحدها : أن هذا الاسم أخذ من القدر ،وانما يؤخذ من الاثبات لامن النفي كالموحدة والمشبهة والمجسمة ،وقد اختلفنا أن المعاصى بقدر الله أم لافقلتم بلى وقلنا لا ، فأنتم بالاسم أولى منا .

وثانيها : أنكم لهجتم بذلك القدر في اضافة القبيح اليه ، فنسبتم اليه كما يقال تمري .

وثالثها :روى أن النبى -صلى الله عليه وعلى آله وسلم - سئل :من القدرية ؟ فقال : قوم يعملون المعاصي ثم يقولون الله قدرها عليهم .

ورابعها : أنه شبههم بالمجوس ، ومذهب المجبرة عين مذهب المجوس لان المجوس تقول : من يقدر على الخير لايقدر على الشر ومن يقدر على الشر لايقدر على الخير ،والمجبرة تقول : من يقدر على الايمان لايقدر على الكفر ومن يقدر على الكفر لايقدر على الايمان ،ومذهب المعتزلة بالضد من هذا،فعندهم يستحيل أن يقدر على الخير ولايقدر على الشر ولكن اما أن يقدر عليهما أو لا يقدر . فلم يكن عندهم جواب .

غير أن بعض مشايخنا روى أن آدم وموسى عليهما السلام التقيا فى السماء فقال موسى : يا آدم ! أليس الله قد أنعم عليك بأن خلقك بيديه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وأنعم عليك بضروب النعم ثم أكلت ما نهاك عنه ؟ فقال : ياموسى ! بكم سنة تجد ذلك مكتوباً علي ؟ قال: بألف سنه ،قال : أفأقدر على تركها ؟ قال : لا . قال : فلم تلومني ؟ قال : فحج آدم موسى . قالت المعتزلة : هـذا كذب ، لو كان هـذا عذراً لادم لكان عذراً لجميع العصاة . قال بعض المجبرة : نعم هو عذر للجميع لكن لا نجسر أن نقول كما قال آدم . فقال معتزلي : اذاً مثلنا كما قيل :

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم   وتذنبون فنأتيكم ونعتذر [1]

فقالت المجبرة : نعم ! فضجوا وقالوا : افتضحت . وأنشد المعتزلي :

اصفع المجبر الذي   بقضاء السوء قد رضي

فاذا قيل لم فعلت   فقل هكذا قضي [2]

وقيل لمحمد بن واسع [3] وكان معتزلياً :ما تقول في القدر ؟قال : اذاجمع الله الخلائق سألهم عما أمرهم ولم يسألهم عما قضى عليهم .

وسئل جعفر بن محمد [4] ـ عليهما السلام ـ عن القدر فقال : ما استطعت أن تلوم عليه العبد فهو فعله ،وما لم تستطع أن تلومه فهوفعل الله ،يقول الله للعبد لم كفرت ولم عصيت ؟ ولا يقول لم مرضت ؟ [5]

وعن غيلان مطرف [6] [أنه] كان يقول : اللهم ارضني بقضائك ،فان هذا السارق لم يرض بما قسم الله له فسرق فقطعت يده .

---

١. لم يسم قائله فيماوجدت فيه هذا البيت من المصادر ، مثل آداب النفس للعيناثي: ٨٤ (طهران ـ ١٣٨٠) .

٢. في الصراط المستقيم للبياضي (طهران ـ ١٣٨٤) ١ : ٤٠ ورد البيت الاخير هكذا :

واذا قال لم فعلت   قل له هكذا قضى

وفي متشابه القرآن لابن شهرآشوب : ١٩٦ :

فاذا قال لم فعلت   فقل هكذا قضى

٣. لعله ابو بكر محمد بن واسع بن جابر الازدي البصري الفقيه، المتوفى سنة ١٢٣ ، ولكن هذا عد من أهل الحديث .

٤. هو الامام أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق ، سادس الائمة الاثنى عشر . توفى سنة ١٤٨ .

٥. الرواية في الطرائف لابن طاوس : ٣٣٠ وبحار الانوار ٥ : ٥٩ .

٦. كذا في الاصل ، ولعله محرف غيلان بن مسلم ، أي الدمشقي الماضي ذكره .

واجتمع عدلي ومجبر رافضي فقال العدلي : ماتقول ،علي -عليه السلام- قاتل معاوية على شيء جعل الله لمعاوية وقضاه له أم على شيء جعله لعلي -عليه السلام- وقضاه له وغصبه معاوية ؟ فقال : بل على شيء جعله لمعاوية وقضاه له ولم يجعل لعلي . فقال : فمعاوية أحسن حالا من علي حيث رضي بما قضي له وجعل له ،وعلي لم يرض بما قضي له ولم يقنع بماجعل له ،فمعاوية وافق ربه وعلي خالفه ! فانقطع .[1]

وسأل المعتزلي مجبراً : أكان قتل يحيي بن زكريا بقضاء الله ؟ قال :نعم. قال : فارضوا به ! فانقطع .

وصعد سلام القاري أبوالمنذر[2] المأذنة ليؤذن ، فأشرف على سطحه فاذا غلام له يفجر بجاريته ،فبادر فنزل وأخذ هما ليضربهما ،فقال الغلام: أتلومني ؟ وان القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك ! فقال : لعلمك بالقضاء والقدر أحب الي من كل شيء ، أنت حر لوجه الله !

وكان باصفاهان شيخ مجبر يؤذن ، فصعد المأذنة فرأى رجلا يفجر بأهله ، فبادر وهرب الرجل وأخذ يضرب المرأة وهي تقول له : القضاء والقدر ساقانا ! فقال : يا عدوة الله ! أتزنين وتعتذرين بمثل هذا ؟ فقالت : أوه ! تركت السنة وأخذت مذهب ابن عباد ![3] فتنبه الرجل ورمى بالخشب وقبل ما بين عينيها واعتذر اليها ، وقال : لولاك لضللت فأنت سنية حقاً ! وجمع الصوفية ثلاثةأيام

---

١. نقل البياضي هذه القصة ومايليها الى حكاية الجارية والكوز في كتابه الصرط المستقيم ٣ : ٦٥ - ٦٦ ملخصة .

٢. هو سلام بن سليمان البصرى الطويل ، من رواة عاصم ، توفى سنة ١٧١ . والقصة في فهرست ابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل) .

٣. يعني الصاحب بن عباد الوزير ، الماضي ذكره .

شكراً لله . فقلنا : ما لقينا منكم يا معشر المعتزلة !

ورأى مجبر رجلا يزني بامرأته ،فقال : ما هذا ؟ قال : قضاء الله وقدره ! فقال :خيرة الخيار في ما قضى الله . فلقب «خيرة الخيارفي ما قضى الله» ! وكان اذا دعي به غضب .

واجتمعوا يوماً فى مجلس فقال معتزلي : أنتم يا معشر المجبرة اذا ناظرتم المعتزلة قلتم بالقدر واذا دخلتم منزلكم تركتم ذلك وقلتم بالعدل لاجل فلس . قيل : ولم ؟ قال : اذا لقي الخصم قال ليس اليناشيء ،الامر الى خلقه وقضائه ، واذا دخل منزله ووجد جاريته كسرت كوزاً يساوي فلساً ضربها وشتمها ويلومها لو كسرت بعدها لافعلن كذا ، ونسي مذهبه .

ومر أبو عبد الله الموسوس بطرار اجتمع الناس عليه ، فكلم بعضهم أن يخليه ويرد المسروق فرد . فقال : أبو عبد الله : أيهما أعدل من قضى أخذها أو من رد عليه ؟ فبهتوا ، وأنشد لمحمود الوراق :[1]

اذا مـا أتى فـاسق زلـة   على العهد منه يقولوا قُدر
اذا كان هـذا على طـاعة   وهذا على الكفر كـل جبر
فمن قد أطاع كمن قد عصى   فمـا للعذاب بـذي يستمر
وان كان [ربي] لـه خالقاً   فمن قـد أطاع كمن قد كفر

حكى معتزلي فقال : ضرب مجبر بالسياط في سرقة، فقال : مرحباً بقضاء الله وقدره !

وقيل لمجبر : الله يقضي الفساد ويخلقه ؟ فاستلقى وقال : لي خمس بنات، لاأخاف على افسادهن غيره [2] . فقال المعتزلي : صدق والله ! هـذا حقيقة مذهبهم .

---

١. مضى ذكره ، والشعر لم يرد فى ديوانه المطبوع .
٢. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٥ .

وتشاجر معتزلي ومجبر في أن القدرية من هم ؟ فجيئوا بمجوسي فقالوا له : يا مجوسي ! ممن المجوسية ؟ قال : من الله ! قال المعتزلي للمجبر : أينا يوافقه ؟ [1] ثم أنشد :

أيتهـا المـجبرة الملعونـة   وبالمجوس في الهوى مقرونة
حـاولتم علة قـوم ذمـة   من ثم سميتم مجوس الامة

واجتمع أبوعمرو بن العلاء [2] وعمرو بن عبيد [3] فقال عمرو لابى عمرو : هل تعرف في كلام العرب أن أحداً فرّط في ما لايقدر عليه ؟ قال : لا . قال : فأخبرني عن قوله تعالى « يا حَسرَتى علي ما فَرَّطتُ في جَنبِ الله » [4]، كانت حسرته في ما قدر عليه أو في ما لم يقدر عليه ؟ فقال أبو عمرو لاصحابه : قد أبان لكم أبو عثمان القدر بحرفين [5].

وسأل مجبر عدلياً عن قوله -عليه السلام- اذا ذكر القدر فأمسكوا والقدر سر الله فلا تفشوه والقدر بحر عميق لايدرك [6]، فقال : كل ذلك حجة على المجبرة والقدرية . قال: ولم ؟ قال :أجمع المسلمون أن من أقر على نفسه بذنبه واستغفر ربه ولام نفسه فهو قد أصاب الحق ،وعلى هذا كان السلف الصالح ، وبهذا نطق

---

١. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٤ ، وصـدر القصة محرف فى المطبوعة من هذا المصدر .

٢. هو زبان بن عمار التميمى المازنى البصرى ، من أئمة اللغة والادب وأحد القراء السبعة . توفى سنة ١٥٤ .

٣. هو أبوعثمان عمرو بن عبيد البصرى، شيخ المعتزلة فى عصره. مات فى سنة ١٤٤.

٤. سورة الزمر (٣٩) : ٥٦ .

٥. انظر الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .

٦. أنظر نهج البلاغة : ٦٢٤ (بيروت ـ ١٣٨٢) وكتاب التوحيد للصدوق : ٣٦٥.

القرآن في قوله « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِم »[1] ،وبهذا وردت السنة لما سئل النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن هذا شيء يعلمه أوسبق القضاء له ؟ قال : ففيم بعث ،فالمراد اذا نسب المعاصي الى القدر فأمسكوا ولاتقولوا كقول المجبرة . وقيل . اذا سئل عن أفعال الله لِمَ كان هذا بصيراً وهذا أعمى وهذا غنياً وهذا فقيراً ، فكلوا ذلك الى تدبيره فانه الحكيم في أفعاله العليم فى قضاياه ، لايفعل الا الصواب ولم يرد اضافة القبيح الى قضائه ، مع قوله : «وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ »[2] ويقول . « انّ اللهَ لاَيَأْمُرُ بِالفَحشَاءِ»[3]و«لاَيُحِبُّ الفَسَادَ »[4]ولايريد ظلماً للعالمين[5]. ثم قال : ومن جهة أخرى -- وهو حجة عليكم -- وهو أنه أمر بالامساك فأمسكوا ولاتضيفوا الكفر والفساد الى قدره ،فاذا فعلتم ذلك خالفتم السنة وخضتم البحر المنهي عن خوضه وفتشتم عن هذا السر وقلتم بالجبر .فانقطع .ثم قال : أخبرني هذا التفتيش المعيب منا أو منه ؟ فان قلت : منا تركت المذهب ،وان قلت :منه فهو الذي فتش سره ،وان قلت : منا ومنه فقد أشركت .

وجرى ذكر القدرية فقال مجبر : القدرية خصماء الرحمن وأنتم ذلك يامعشر المعتزلة ! فقال : ننظر فى المذهبين أيهما كان أليق بأن يكون خصماً له ، فمذهبنا أن نجعل الحجة كلها على عباده وأنتم جعلتم الحجة كلها للعباد عليه ، وأنتم خصمه ونحن نذب عنه . ثم قال : حسبك بالقطع اذا دعينا ودعيتم يوم

---

١. سورة التوبة (٩) : ١٠٢ .

٢. سورة آل عمران (٣) : ٧٨ .

٣. سورة الاعراف (٧) : ٢٨ .

٤. سورة البقرة (٢) : ٢٠٥.

٥. مأخوذ من قوله تعالى : «وما الله يريد ظلماً للعالمين » (سورة آل عمران ـ ٣ ـ : ١٠٨) .

القيامة فقيل لكم : بم تشهدون؟ قلتم : يارب نشهد أن القوم لم يؤتوا في كفرهم وفسادهم الامن جهتك، أنت خلقت فيهم فأفسدتهم ، وحملت اليهود على اليهودية والنصارى على النصرانية، ولو كان أمرهم اليهم كانوا صالحين لكن أنت صددتهم وبقضائك عليهم الكفر منعتهم وأنت نهيتهم عنها وأوقعتهم فيها ، فجميع ذنوبهم منك وجميع معاصيهم من قبلك ثم سخطت عليهم بغير حق وتعاقبهم بغير جرم ، ثم قلتم للقوم : أمانحن فقد بحنا ببراءتكم وقمنا بعذركم واحتججنا لكم . ثم قيل لنا : يا أهل العدل ! بم تشهدون ؟ فقمنا بين صفوفهم وقلنا : يا رب ! نشهد أن هؤلاء كذبوا عليك ونحلوا اليك ما أنت منه برىء واعتذروا للظالمين وجعلوا دعوة الرسل لغواً وانزال كتاب القرآن عبثاً والامر والنهي باطلا واقامة الحدود تعنتاً والسؤال والحساب والعذاب ظلماً والثواب ميلا ، فنحن نشهد أنهم كذبة وشهود زور وننزهك عما لايليق بك فنقول سبحانك عما وصفوك به وتعاليت عما نسبوك اليه ، ونشهد أنك العدل في ما فعلت وفطرت ، الحكيم في ما قضيت وقدرت ، الرحيم فلا عنت في ما أمرت ونهيت ، العليم فلا جور في ما قدمت وأخرت، الصادق في ما أنبأت وأخبرت، خلقت الخلق برحمتك وكلفتهم برأفتك لينالوا جنتك، وأعطيت الالة وأزحت العلة ومكنت باعطاء القدرة وبعثت الرسل وأنزلت الكتب كل ذلك تعريضاً لما أعددت لهم من ثوابك وتحذيراً من عقابك ، ولم ترد منهم الا ما أمرت ولا كرهت الا ما نهيت ولا قضيت الا ما قدرت ولا قدرت الا ما أظهرت، فتركوا أمرك واتبعوا شهواتهم وارتكبوا ما نهيت ايثاراً لشهواتهم ولذاتهم وطغوا فى بلادك وظلموا عبادك ،فمنهم من كفر ومنهم من تحير ومنهم من ترك العبودية ومنهم من ادعى الربوبية، وفى كل ذلك أتوا من قبلهم وأنت من ذلك [بريء] حتى استوجبوا عذابك واستحقوا عقابك ، ثم أمهلتم للتوبة وأعذرت

اليهم الانابة ففي كل ذلك الحجة لك عليهم لاحجة لهم عليك وما أنت بظلام للعبيد ،بهذا كنا نشهد فى الاولى كما شهدنا فى العقبى ، فانظروا أينا خصماء الرحمن، وقد قال الله « وَلا تَكُن لِلخائِنينَ خَصيماً »[1] و «لا تُجادِل عَنِ الّذينَ يَختانونَ أنفُسَهُم »[2] .

وقال معتزلي لمجبر :أليس الله يقول :«وَشَهِدُوا عَلى أنفُسِهِم أنَهُم كانُوا كافِرينَ »[3] فاقراره أولى بنفسه أم شهادتكم له ؟ فانقطع .

وقال عدلي لمجبر : أليس الله يقول :«وَلا يَرضىٰ لِعِبادِهِ الكُفرَ»[4]؟ فقال :دعنا عن هذا ،أرضاه وأحبه وأراده وخلقه وما أفسدنا غيره ! فقال : كفرت حيث رددت آية من كتاب الله .

وقال تلميذ لسلام القاري[5] : مررت الليلة بآية من القرآن في قصة يوسف توهمني أنه كان قدرياً ! قال :وما ذلك ؟ قال : قوله تعالى « نَزَغَ الشّيطانُ بَيني وَبَينَ اخوَتي »[6] .فقال سلام :فأنا مررت بآية في قصة موسى توهمني ذلك . قيل :وما هى ؟ قال :قوله « هذا مِن عَمَلِ الشّيطان »[7]. فقال آخر: رأيت أعجب من هذا ،قوله « لاأملِكُ الانَفسي وَأخي »[8]،فلم يرض أن يقول « أملك نفسي » حتى قال « وأملك غيري ». فقام معتزلي وقال :أما رضيتم بمذهب موسى ويوسف تردون عليهما ؟ فسكتوا .

---

١. سورة النساء (٤) : ١٠٥ .
٢. نفس السورة : ١٠٧ .
٣. سورة الانعام (٦) : ١٣٠ .
٤. سورة الزمر (٣٩) : ٧ .
٥. مضى ذكره . والقصة منقولة فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٦ .
٦. سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .
٧. سورة القصص (٢٨) : ١٥ .
٨. سورة المائدة (٥) : ٢٥ .

الباب الخامس

في خلق الافعال

فكرت وقلت لاشيء أقوى في هذا الباب من نفي الافعال عن العباد واضافتها الى الله ، فألقيت اليهم بأن جميع مـا يظهر على العباد مـن خير وشر وايمان وكفـر وقبيح وحسن وطاعة ومعصية فهـو خلقه تعالى لاتأثير للعبد فيه ، وانما ينسب اليه كما تنسب الحركة الى الاشجار والجري الى الانهار والنضج الى الثمار ، فكذلك نسبة الكفر الى الكفار والطاعة الى الابرار . فقبلتم مني أحسن قبول ودنتم به وناظرتم عليه .

وأنكرت المعتزلة ذلك ، وقالوا هذا يبطل الامر والنهي والوعد والوعيد والحساب والثواب والكتب والارسال والجزاء والسؤال .

فأما شيخنا جهم [1] فقام على رأس الامر ، ولم يلتفت الى كلامهم ولاتفكر في ما أوردوه من حججهم ،وقال :من يبالي بسبالكم ومن يلتفت الى أقوالكم ؟ وأما سائر الشيوخ فتركوا الطريق وناظروهم حتى انقطعوا وافتضحوا .

فألقيت اليهم حيلة ومكيدة بأنه خلق لله كسب للعبد ، ففرحوا به وأوردوا

---

١. هو أبو محرز جهم بن صفوان السمرقندي، رأس الجهمية .كان يقضي في عسكر الحارث بن سريج الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار وقتله في سنة ١٢٨ .

عليهم. فقالت المعتزلة :هذا تلبيس وتدليس ،اذاكان الفعل بجميع صفاته أحدثه هو فأي تأثير للعبد وأي معنى للكسب؟ وقالوا : ان ثبت ذلك فى ماشتركوا فى الفعل وجب أن يشتركوا فى الحمد والذم والاسماء المشتقة من الافعال ، وكيف أضاف أفعاله اليهم وحظه أكثر وتأثيره أوفر ؟ وكيف أوجب الحدود والعقوبات على شيء هو حملهم عليه ؟ وقالوا لهم : أيصح أن يحصل الخلق دون الكسب؟ قالوا : لا ، قالوا : فيصح أن يحصل الكسب دون الخلق ؟ قالوا : [لا] ، فقالت المعتزلة : فهذه شركة ظاهرة ، خرجتم عن التوحيد وقلتم ان القدرة المحدثة قدرة الله . فعند ذلك انقطعوا وبهتوا .

اجتمع عدلي ومجبر ،قال العدلي :أليس قد بعث الله موسى الى فرعون وقال : « فَذَانِكَ بُرهانانِ مِن رَبِّكَ الى فِرعَونَ وَمَلائِهِ »[1] وقال: «انَّهُ طَغَى فَقُولا لَهُ قَولاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخشَى»[2] ووصاه بما وصاه ؟ فقال : بلى .قال : قد بعثه الله تعالى ليغير خلق الله أو فعل فرعون ؟ فان قلت بالاول فكيف يقدر موسى أن يغير ماخلق الله ؟ وأي معنى لقوله «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أو يَخشَى» ولم يخلق ذلك فيه ؟ وان بعثه ليغير فعل فرعون فذلك مانقول .فانقطع المجبر .وأنشد العدلي يقول :

لقد أسمعت لو ناديت حيّاً ولكن لاحياة لمن أنادي [3]

وقال ثمامة [4] يوماً للمأمون : أنا أبين لك القدر بحرفين .فقال :زد الضعيف

---

١. سورة القصص (٢٨) : ٣٢ .

٢. سورة طه (٢٠) : ٤٣ .

٣. البيت لعمرو بن معد يكرب ، وهو فى ديوانه المطبوع (من جمع هاشم الطعان ، بغداد – ١٣٩٠) : ٦٤ ، وفيه : « لمن تنادى » .

٤. هو أبو معن ثمامة بن أشرس النميرى ، من كبار المعتزلة ، شيخ الجاحظ ، مات سنة ٢١٣ .

حرفاً - يعني يحيى بن أكثم - [1]. فقال: لايخلو فعل العبد من ثلاثة أوجه: اما أن يكون فعله فيتوجّه الحمد والذم اليه، أو فعل الله تعالى فلا يتوجّه على العبد لوم ولاحمد ولاذم، أو كان منهما فوجب أن يكون الحمد والذم لهما.

فقال: صدقت!

وقال أبو العتاهية [2] للمأمون: أنا أقطع ثمامة بحرف. فقال: دع فلست من رجاله. قال: بلى! فلما حضر قال: سله. فحرك يده وقال: من حرك يدي؟ فقال: من أمه زانية! فقال: ياأمير المؤمنين! شتمني. فقال ثمامة: ياأمير المؤمنين! ترك مذهبه. فضحك المأمون [3].

وقيل لفضيل بن عياض [4] - وكان عدلياً -: ان فلاناً يشتمك. فقال: لاغيظن من أمره بذلك ويغفره الله له. قيل: ومن أمره بذلك؟ قال: الشيطان.

وقال عدلي لمجبر: أليس الله تعالى يقول: «اَلشَّيطانُ يَعِدُكُمُ الفَقرَ وَيَأمُرُكُم بِالفَحشاءِ وَاللهُ يَعِدُكُم مَغفِرَةً مِنهُ وَفَضلاً» [5]، فهما من واحد أو من اثنين؟ فانقطع.

---

١. هو القاضي يحيى بن أكثم المروزي، استقضاه المأمون ثم المتوكل، ومات في سنة ٢٤٢.

٢. هو اسماعيل بن القاسم بن سويد العيني الكوفي، الشاعر المكثر، توفي ببغداد سنة ٢١١.

٣. جاءت القصة ملخصة في متشابه القرآن لابن شهرآشوب: ١٢١ والصراط المستقيم ٣: ٥٩.

٤. هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي السمرقندي، المحدث الزاهد، شيخ الشافعي. توفي بمكة سنة ١٨٧.

٥. سورة البقرة (٢): ٢٦٨.

وكلم انسان عروة بن محمد[1] بشيء أغضبه ، فخرج وتوضأ ورجع وقال: حدثني أبي عن جده عن النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - أنه قال: الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من النار ، وانما يطفىء الماء النار ، فاذا غضب أحدكم فليتوضأ .

وعن بعض المعتزلة [أنه] قال لمجبر : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقول : الأناة من الله والعجلة من الشيطان ؟ فلو كان كلاهما من خلقه لم يكن للفرق معنى .

وقال آخر لمجبر يناظره : لا أدري ما تقول غير أنه تعالى قال : « كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ »[2] ، وقد علمنا أن الذي أوقدها غير الذي أطفأها[3] .

وسمع صقر المجبر[4] رجلا يقول : لعن الله القواد يجمع بين الزاني والزانية . فقال صقر انك : تلعن ربك فانه جمع بينهما . فقال : ما الذي تقول ؟ قال : هو ديني ودين أصحابي .

وقيل لصقر : أليس الله يحمد بترك الظلم فقال : « وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ »[5] ؟ قال نعم . قال : أليس الظلم كله منه ومن خلقه وقضائه؟ قال : نعم.

---

١. هو عروة بن محمد بن عطية السعدى القيسى ، ولى على اليمن عشرين سنة وعزل سنة ١٠٣ وتوفى بعد سنة ١٣٠ . والرواية وردت فى تهذيب التهذيب ٧ : ١٨٨ ذيل ترجمته .

٢. سورة المائدة (٥) : ٦٤ .

٣. أنظر الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٤. ورد ذكره فى طبقات المعتزلة للقاضى عبدالجبار : ٢٨٧ (من طبعة فؤاد سيد) ، ويظهر منها أنه كان متكلم المجبرة فى البصرة فى أواسط المائة الثالثة .

٥. سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

قال : فما الظلم الذي نفاه وتحمد ؟ أشيء يعرف أم لا ؟ فانقطع .

وقال: أبو الهذيل للبطيخي [1] المجبر - غلام جهم - [2] :أتزعم أن الله تعالى يعذب عباده على ما خلقه فيهم ؟ قال :لا ، ولكن أقول انهم فى النار يتنعمون كدود الخل فى الخل . ثم قال : كيف ثم كيف حيث [3] يا أبا الهذيل . قال :نعم ولكن رفعت باب البيعة .

وقيل لابى الهذيل : من جمع بين الزاني والزانية ؟ قال : أما أهل البصرة فيسمّونه قواداً ، وأظن أهل بغداد لايخالفونهم فيه ! فسكت السائل [4] .

وقيل لابى العباس الضرير - وكان عدلياً - :من جمع بين الزاني والزانية؟ فقال :أبو القوّاد .

وقيل انّ أبا الاسود الدئلى [5] شكى جيرانه بأنهم يرمونه ،فقالوا : ما رميناك ولكن الله رماك !قال :كذبتم ! لورماني الله لما أخطأني وأنتم تخطئون [6].

وتواعد أبو الهذيل وحفص القرد للمناظرة في دار أبي عامر الانصاري

---

١. ورد ذكره فى المحيط بالتكليف للقاضى عبدالجبار : ١١٧ ، الا أنه فى المطبوع منه : البطخى .

٢. يعنى جهم بن صفوان الماضى ذكره .

٣. كذا فى الاصل ،ويحتمل أن تكون كلمة « حيث » محرفة عن « تجيب » أو قد سقط شيء هنا .

٤. القصة فى أمالى المرتضى ١ : ١٨٠ . ونقلها ابن شهرآشوب فى متشابه القرآن: ١٢١ والبياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٥ . هو ظالم بن عمرو بن سفيان الكنانى ، المتوفى ٦٩ . واضع علم النحو ووالى البصرة فى خلافة أمير المؤمنين .

٦ . أنظر القصة وما قال أبو الاسود فيها من الشعر فى ديوانه : ٨٩ - ٩٠ (بيروت - ١٤٠٢) .

وتراضيا بالنظام [١] ، فقال أبو الهذيل لحفص : هل شيء غير الله وغير خلقه ؟ قال : لا . قال : فعذب الكافر على أنه خالق ؟ قال : لا . قال : فعذب على أنه خلق ؟ قال : لا . قال : فلم عـذب ؟ قال : لانه عصى . قال : بأن عصى خرج الى باب ثالث من خالق ومخلوق ؟ قال : لا . قال : فلم عذب ؟ فجعل حفص يكرر هذا وأبو الهذيل يلزمه ، فقال نظام : الى كم لا ونعم في شيء لامعنى له؟ [٢].

وقيل لابي يعقوب المجبر : مـن خالق المعاصي ؟ قال : الله . قال : فمن عذب عليها ؟ قال : الله . قال : فلم عذب عليها ؟ قال : لاأدري والله !

وحضر أبو عبد الله الحنفي دار بعض الولاة وقـد حضر مجبر فأتي برجل طرّار [أحول]، فقال الوالي للمجبر: ماترى فيه؟ قال: تضربه خمسةعشر سوطاً . فقال للعدلي : ماتقول ؟ قال : تضربه ثلاثين سوطاً ، خمسة عشر لحوله وخمسة عشر لطرّه . فقال المجبر : تضربه على حوله ولاصنع له فيه ؟ قال : نعم ، اذا كانا جميعاً من خلق الله فالحول والطرّ سواء . فانقطع المجبر وتحير [٣] .

وقال المأمون لابي علي الشنوي [٤] : هل ندم مسيء قط ؟ قال : نعم . قال : أندم على شيء فعله هو أوغيره ؟ قال : ندم لانه أساء . قال : فان صاحب الخير

---

١ . هو ابراهيم بن سيار البصرى ، من أئمة المعتزلة . توفى سنة ٢٣١ .

٢ . نقل البياضى هذه القصة والتى بعدها فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٣ . نقله ابن شهر آشوب فى متشابه القرآن : ١٢١ والبياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٥٩ .

٤ . راجع قصة المأمون معه فى الحيوان للجاحظ ٤ : ٤٤٢ ـ ٤٤٣ وعيون الاخبار لابن قتيبة ٥ : ١٥٢ ، وهى فى المصدرين مختلفة عما هنا الا فى السطر الاول ، وكذا فى متشابه القرآن لابن شهرآشوب : ١٢٢ .

وصاحب الشر سواء واحد . فانقطع . هذا ، ويلزم المجبرة [أنّ] النادم يندم على فعله أو فعل خلق الله فيه ، وهـم ألزموا الندم على فعل غيرهـم [الذي] لايقدرون على تركه ، والعاقل لايندم على مثل هذا .

وكان قاص من المعتزلة يقص ويقول : أيها الناس ! من حمل الذنب على الله هلك ومن أضافه الى نفسه نجا ،وهذا مذهب النبيّـين والصحابة والتابعين . ولقـد أتي عمر بسارق فقال له : لـم سرقت ؟ قال : قضاء الله وقدره ! فقال : اذهبوا به واضربوه ثلاثين سوطاً واقطعوا يده . فقيل : أما القطع فللسرقة فمابال الضرب ؟ قال لكذبه على الله [1] .

---

١ . نقله ابن شهرآشوب في متشابه القرآن : ١٩٦ .

الباب السادس

فى الاستطاعة

فكرت وقلت: مدار أمر التكليف على القدرة وازاحة العلة ،فألقيت اليهم بأن الكافر لايقدرعلى الايمان والمؤمن لايقدر على الكفر ويستحيل القدرة على الضدين،وأن القدرة موجبة للفعل وتوجد معهوتعدم معه . فقبلتم مني ووافقتموني كالمنتظر منكم .

وأنكرت المعتزلة ذلك وقالوا بـل القدرة قبل الفعل وهي غير موجبة للفعل، والقدرة على الضدين.وقالوا: لو كان الامر كما زعمتم لكان يقبح تكليف كما يقبح تكليف الاعمى بالنظر والاخرس بالكلام والزمن بالمشي ،واذا لم يجز تكليف من لايعلم فتكليف من لايقدر أولى أن لايجوز ، ولانها لو كانت موجبة لكان الفعل لفاعل القدرة .وصنفوا في ذلك تصانيف وأوردوا في ذلك حججاً وألزموا تكليف مالايطاق .فمنكم من استحيا من اطلاقه فوقع في حيرة،فألقيت اليهم القول بالبدل[1]

---

١ . فى الهامش : « أى عند المجبرة يجوز وجود الايمان فى حال الكفر ، على معنى أنه لولايكون كان وجـد وفعل ـ أى يجوزون الايمان فى حال وجود الكفر ـ ، وعند البدل انما يجوز على المعدوم ولامجوز على الموجود لان بـدل الموجود يكون مثلا له لابدلا » .

تلبيساً فقبله النجّارية [١] ، والاشتغال بالترك فلزمه الكلابية [٢] . وقد قال شيخنا ابو الحسن [٣] : ما هذا الحياء ؟ ولاي معنى هذا الرياء ؟ صرحوا بتكليف ما لا يطاق ودعوا هذا النفاق وان رغم أنوف المعتزلة [٤] . فقلت شكر الله سعيك ! أرحت واسترحت ! وصرحنا به وحمدناه على ذلك . وقامت المعتزلة بالرد علي وعليكم .

ولقد قرأ قاريء « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أن يُؤمِنوا » [٥] ، فقال بعض المعتزلة : يامعشر المجبرة ! كيف يكون هذا على مذهبكم وقد منع الناس من الايمان بخصال من المنع ، كل واحد منها يمنع فكيف بمجموعها ؟ قيل له : وما هو ؟ قال : خذوا ، فأحدها أنه خلق الكفر ، وثانيها خلق القدرة الموجبة للكفر ، وثالثها أنه أراد منه الكفر وقضى الكفر وزين الكفر ولم يخلق الايمان ولاأعطاه قدرة الايمان ولاأراده ولاقضاه . فقلت لمشايخنا : أجيبوه ! فقالوا: اذا كان المذهب ما قال فما معنى الجواب ؟

---

١ . هم فرقة من المعتزلة ، أتباع الحسين بن محمد بن عبدالله النجار الرازى المتوفى حوالى ٢٢٠ ، يوافقون المعتزلة فى الصفات وخلق القرآن وفى الرؤية ، ويخالفونهم فى مسألة القضاء والقدر واكتساب العباد وفى الوعد والوعيد .

٢ . هم فرقة من نابتة الحشوية ، أتباع محمد بن عبدالله بن كلاب القطان الماضى ذكره .

٣ . يعني الاشعرى امام المذهب ، الماضى ذكره .

٤ . فى الهامش: « نقول انه تعالى يقدر ويعلم لمعان لايوصف، لانه لو وصف الصفة لاحتاجت الصفة الى الصفة وهلم جراً يؤدى الى ما لايتناهى ، والاستطاعة مع الفعل » .

٥ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

وأنشد معتزلي لابن عباد[1] في ذم أصحابنا أشعاراً كثيرة ، منها :

يقـول لنا بعض جيراننـا أريـد المنارة في المبعر

فقلت لـه يـا فتى لاتطيق فأعرض كالمبغض المنكر

فقال وتكليف ما لايطاق يجوز على مذهب الاشعري

وحضر يوماً المعتزلة والمجبرة ،فقال معتزلي :ليس في الدنيا أسوء ثناء على الانبياء من المجبرة ولاأحسن ثناء على الشيطان منهم .قيل :ولم ؟ قال :يزعمون أن النبي-صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ماترك معصية قط قدر عليها ولاأتى طاعة قدر على تركها ولو قدر على المعاصي لكان أعصى خلق الله ،وزعموا أن الشيطان لم يترك طاعة قدر عليها ولا أتى معصية قدر على تركها ولـو قدر لكان أطوع خلق الله ، فهذا ثناؤهم على الا نبياء وعلى الشيطان .

وناظر معتزلي مجبراً فقال :الاستطاعة قبل الفعل . قيل : ولم ؟ قال : لقوله « سَيحلِفونَ بِالله لَو استَطَعنا لَخرَجنا مَعَكُم » ، ثم قال : « وَاللهُ يَعلَمُ انـَّهُم لَكاذِبونَ »[2] فكذبهم في قولهم، فلايخلوا اما أن كانوا مستطيعين فلم يخرجوا أوولو أعطوا [الاستطاعة] لم يخرجوا ،وأي ذلك فالحجة قائمة . فانقطع .ثم قال :صدق ذالك الرجل ! لو استطاع لخرج ولكن لم يعط القدرة. فقال المعتزلي : فما بال التكذيب؟ قال :لاأدري .قال : هذا كفر وردّ لكتاب الله تعالى[3] .

---

١ . يعني الصاحب بن عباد . والشعر لم يرد في ديوانه المطبوع (بتحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد – ١٣٨٤) .

٢ . سورة التوبة (٩) : ٤٢ .

٣ . نقل البياضي هذه القصة وأكثر مايليها الى حكاية الهرة والفارة في كتابه الصراط المستقيم ٣ : ٧٠ – ٧١ ملخصة .

وقال عدلي لمجبر : ما تقول في من لايقدر على القيام ،أيجوز له أن يصلي قاعداً ؟ قال :نعم .قال : تقول فى القاعد [انـّه] يقدر على القيام ؟قال :لا. قال: أفيجوز له أن يصلي قاعداً ؟قال : لا . فقال : ناقضت .

ومر الواثق[1] بيحيى بن كامل [2]فقال : ألست الامام ؟ قال : بلى . قال : اذا مررت برجل في وقت الصلاة ماالذى يجب علي؟ [قال :] تقول له قم فصل . [قول :] فان قال لاأقدر عليه لاني مقعداأأصدقه ؟ قال :نعم . قال :أوأعذره يصلي قاعداً ؟ قال : نعم . قال : فان قال لاأقدر على القيام لاني متشاغل بالقعود وليس في قدرتي القيام أأصدقه ؟قال : نعم . قال : أفأعذره أن يصلي قاعداً ؟ قال : لا. قال : اذا كانا صادقين فلم عذرت أحدهما ولم تعذر الاخر ؟ فانقطع .

وقال له الواثق : ماالتوبة ؟ قال : الندم على مافات والعزم على أن لايعود . قال : أفيقدر عليهما ؟ قال : لا. قال : فاذا كان لايقدر عليهما فما معنى التوبة ؟ فانقطع .

وزعم الكلبي [3] أنه لما نزل قول الله تعالى « اِتـّقوُا اللهَ حـَقَّ تـُقاتِـهِ »[4] اشتد ذلك على المسلمين فنسخ ذلك بقوله « فـَاتـّـَقـُوا اللهَ مـَا استـَطـَعـتـُم »[5]. فقال بعض من حضر : هذا يكسر قولنا فى الاستطاعة . قال : كسره الله !سبحان

---

١. هو هارون بن محمد المعتصم ، تاسع الخلفاء العباسيين ، ولى الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة ٢٢٧) وتوفى بسامراء فى سنة ٢٣٢ .

٢. هو أبو على يحيى بن كامل بن طليحة الخدرى ، من المتكلمين ، كان من المرجئة ثم انتقل الى مذهب الاباضية ، ومات حوالى سنة ٢٤٠ .

٣ . هو ابو النضر محمد بن السائب الكلبى الكوفى ، المتوفى سنة ١٤٦ ، النسابة الراوية ، العالم بالتفسير والاخبار وأيام العرب . صنف كتاباً فى تفسير القرآن .

٤ . سورة آل عمران (٣) : ١٠٢ .

٥ . سووة التغابن (٦٤) : ١٦ .

من يسر ولم يعسر ، وكيف يعسر من قال : « وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ »[1] .

وقرأ قاريء «لَا يُكَلِّفُ اللهُ نفساً إلَّا وُسْعَهَا »[2] ،فقال بعض المجبرة من شيوخنا : بئست الاية هذه الاية ! ،فأنكروا عليه ، فقال :لانها تنقض قولنا في الاستطاعة .

وقيل لصقر المجبر : أكان فرعون يقدر على الايمان ؟ قال : لا .قال :فعلم موسى أنه لايقدر على الايمان ؟قال :نعم . قال :فلم بعثه الله اليه ؟قال :سخرية !

وحضر من شيوخنا أبو هاشم مجلساً وبعض المعتزلة يقول : المجبرة خصماء الرحمن وشهود الشيطان .فقام أبوهاشم وقال : اذاكان يوم القيامة نودي أين شهود ابليس ؟ قمت وشهدت له أن الله منعه من السجود .

واجتمع النظام والنجار للمناظرة ،فقال النجار :لم تدفع أن الله كلف عباده ما لايطيق ؟ فسكت النظام . فقيل له : لم سكتّ ؟ قال :كنت أريد بمناظرته أن ألزمه القول بتكليف ما لايطاق ، فاذا التزم ولم يستحي فما الذى ألزمه بعد ذلك .

وسأل معتزلي مجبراً فقال : أليس الكافر ممنوعاً من الايمان ؟ قال :بلى . قال : فهل يكون قوله « لاأقدر عليه » حجة ؟ قال : نعم . قال :فما معنى قوله « لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ »[3] ؟ فانقطع . وقام المعتزلي وأنشد :

ليس خلق لـه على الله حجة فالزم القصد ان عرفت المحجة

---

١ . سورة الحج (٢٢) : ٨٧ .

٢ . سورة البقرة (٢) : ٢٨٦ .

٣ . سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

ومر أبو الهذيل راكباً على الحسين النجار وهو قاعد على باب دار المهالبة، فقال: انزل حتى أسألك. قال: أتقدر أن تسألني ؟ قال: لا. قال: أفأقدر أن أجيبك ؟ قال: لا. قال: فيم أعني نفسي ؟ [1]

وقال ابو الهذيل للنجار: خبرني عن رجل في الشمس أمره تعالى أن ينتقل الى الظل، متى تحصل له استطاعة الانتقال ؟ قال: مع النقلة. قال: فأعطي استطاعة النقلة وهو في الشمس أو أعطي وهو في الظل ؟ فان قلت بالاول تركت مذهبك وان قلت بالثاني فقد انتقل بغير استطاعة. فانقطع، ثم قال: وخبرني عن موسى ـ عليه السلام ـ أمر بالقاء عصا أعطي قدرة الاعطاء وهي في كفه أو بعد ما ألقى ؟ فان قلت بالاول فالاستطاعة قبل الفعل، وان قلت بالثاني فقد ألقى بغير استطاعة. فقال: مع القائها. قال: هي في كفه أو خارجة من كفه فلا فاصل بينهما فانقطع.

وسأل مجبر أبا الهذيل: هل تقدر على أن تفعل شيئاً ؟ قال: نعم، أقدر على أشياء أقدرني الله تعالى عليها باستطاعة ركبها في. قال: خذ تلك الصعوة من رأس ذلك الحائط. قال: ذلك من استطاعة الباشق ! [2]

وسأل عدلي مجبراً فقال: ما تقول أكان فرعون قادراً على الايمان ؟ قال: لا. قال: فعلم موسى أنه لايقدر عليه ؟ قال: نعم. قال: فلو قال فرعون لموسى أأقدر على الايمان الذي تدعوني اليه ماكان يقول موسى له ؟ قال: كان يقول لاتقدر. قال: فلو قال لماذا جئتني وأنا لاأقدر على ما تدعوني اليه، أيش كان يجيب ؟ قال: كان يقول لاأدري. قال: ولو قال فرعون اذهب فاعلم ثم ارجع فاني اذا قدرت آمنت ـ جئت أو لم تجيء ـ أيش كان يقول ؟ فانقطع المجبر.

---

١. انظر الطرائف لابن طاوس: ٣٣١.

٢. نسبه ابن شهرآشوب الى النظام في كتابه متشابه القرآن: ١٢٠.

وعـن عبدان [1] رأيت أبا رملة المجبر يدخل على أبي شعيب [2] فدخلت معه ،فسأله حاجة ،فقلت :أيقدر أبو شعيب أن يقضي حاجتك ؟ قال :لا. قلت : فلم تسأله ما لايقدر وتغضب ان لم يفعل ؟

وكان عبدان هذا ظريفاً مليح المسائل .قال له ابن بالويه المجبر [3]:مادليلك على أن الاستطاعة قبل الفعل ؟ قال : الهرة والفارة ! فغضب ابن بالويه وقال : تهزأ بي ؟قال عبدان :ما قلت لك الا الحق ،لولا أن الفارة تعلم أن السنور يقدر على أخذها لما هربت ! فانقطع .

وقال عبدان: صحبني رجل من المجبرة الى باب داره ،فقلت :أيقدر باب دارك وهو على هذه الهيئة أن يأخذ بثيابي ؟ قال : لا . فقلت : فلو أعطاه الله القدرة يستطيع أن يأخذ بثيابي ؟ قال :نعم . قلت : أتقدر أنت وأنت على هذه الهيئة أن تأخذ بثيابي ؟ قال : لا. قلت : فلو أعطاك الله القدرة على أخذها أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : فما الفرق بينك وبين هذا الباب ؟ فسكت .

وناظر عدلي مجبراً فقال : ما تقول لو قدرت على قتل الانبياء والائمة ـ وهتك المحارم واحراق المصاحف وتخريب الكعبة ونبش قبر النبي وهـدم المسجد، أتفعل ولاتدع شيئاً من ذلك خوفاً من الله تعالى ولاحرمة لامره ولاخشية من عقابه ولارجاءً لثوابه ؟ قال : نعم . قال : فمن كان هذا اعتقاده كفى به خزياً ! فافتضح .

---

١. لعله عبدان الخسروجردى ، أبو بكر عبد الملك بن عبدالحليم البيهقى، المتوفى ٢٩٢ . روى عـن يحيى بن يحيى المنقرى النيسابورى (تاريخ بيهق : ١٤٢) .

٢ . لعله محمد بن شعيب البيهقى ، مفتى الشافعية بنيسابور . كان مكرماً عند الامراء وحظى بالمال والرئاسة . توفى سنة ٣٢٤ (تاريخ بيهق : ١٥٨) .

٣ . هو أبو العباس بالويه بن محمد بن بالويه البيهقى المزينانى ، تلميذ محمد بن اسحاق بن خزيمة النيسابورى (المجبر ، المتوفى سنة ٣١١ ، الماضى ذكره) والمترجم له فى تاريخ بيهق : ١٦٠ .

وكان لمجبر غريم عدلي فقال : أعطني حقي . فقال: لاأقدر على أن أعطيك حقك ! فقال المجبر : أنـا الان أقول بقولك ،نعم تقدر أن تعطيني . فقال : ما تصنع بمذهب لايمكنك معه أن تقاضي غريمك ؟ دعه واسترح !

وسأل رجل سلام القاري أبا المنذر[1] فقال: ما تقول في رجل قائم فى الماء حلف بطلاق امرأته أنه لايقدر أن يتوضأ للصلاة ؟ فقال له : يا قدري الخبيث ! فقيل لـه : ان هذا قرشي . فقال : يابن أخي ! طلقت امرأته . فقال : تركت مذهبك .

وذكر أبوموسى المردار[2] فقال : اجعل كلام المجبرة القدرية حجة عليهم في كل شيء ، اذا قال [أحدهم] افعل كذا فقل هل أقدرعليه ؟ فان قال نعم ترك مذهبه ، وان قال لافقل فلم تأمرني بما لاأقدر عليه ؟

وقال عدلي لمجبر: أليس الله تعالى يقول : «وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ »[3] ؟ فالتفت الىقوم عنده وقال : أنظروا الى هذا يزعم أن الشيطان يقدر أن يعمل شيئاً . فقال: يا أحمق ! هذا نص الكتاب لا[ما] أقول . فانقطع.

وسأل عدلي مجبراً عنقوله تعالى « وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا »[4] مامعناه على قولك ؟ قال: هذا لامعنى له ،اذاكان هو المانع فما معنى السؤال ؟ قال السائل : أيمنعهم ثم يسألهم ؟قال : نعم قضى على عباده بالسر مامنعهم الله

---

١ . مضى ذكره . والقصة منقولة فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٩ ملخصة ، الا أن فى المطبوع منه « سلام الفارسى » بدل « القارى » خطأ .

٢ . هو عيسى بن صبيح المردار ، من كبار المعتزلة ، وهـو الذى أظهر الاعتزال ببغداد . توفى سنة ٢٢٦ .

٣ . سورة النمل (٢٧) :٢٤ .

٤ . سورة الاسراء (١٧) : ٩٤ .

في العلانية وأوعدهم عليه . فقال السائل : أيكون هذا فعل حكيم ؟ ثم قال: فما معنى قوله تعالى «وَماذا عَلَيهِم لو آمَنوا بِاللهِ وَاليَومِ الآخِرِ»[1] وان كان هو منعهم ؟ قال : استهزأ بهم ! ثم قال : فما معنى قوله « ما يَفعَلُ اللهُ بِعَذابِكُم ان شَكَرتُم وَآمَنتُم »[2] ؟ قال : قد فعل ذلك بهم وعذبهم من غير ذنب جنوه ، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه ، وليس للاية معنى. فقال : هذا رد كتاب الله تعالى . فقال : أيش أصنع اذا كان هذا هو المذهب ؟

وكان بالبصرة نصراني فكتب كتاباً ذكر فيه الشهود المسلمون أن فلاناً النصراني لايقدر على الايمان ، وأن الله خلق فيه النصرانية وقضاه عليه وقدره وأراده واختاره له ، وأنه منعه من الايمان ، وأنه أتي في ما أتي من قبله تعالى . وكان يأتي المجبرة ويأخذ خطوطهم ويقول اكتبوا شهاداتكم تشهدون لي يوم القيامة ، وكانوا يكتبون . والمعتزلة يسخرون منهم ويقولون : هؤلاء شهود الشيطان ، فيسكتون[3] .

وسأل عدلي مجبراً عن قوله تعالى «وَأَمّا ثَمودُ فَهَدَيناهُم فَاستَحَبّوا العَمىٰ عَلَى الهُدىٰ »[4] ، فقال : ليس من هذا شيء بل أضلهم وخلق فيهم العمى . قال : فما معنى الاية ؟ قال : مخراف مخرف بـه ! فقال : كفرت ! فسكت .

وسأل آخر عن ذلك فقال : معناه هدينا المؤمنين فاستحب الكافرون العمى. فقال : ما أجهلك وأشد مكابرتك ! هل قال أحد ضربت زيداً فبكى عمرو ؟ ثم

---

١ . سورة النساء (٤) : ٣٩ .

٢ . نفس السورة : ١٤٧ .

٣ . نقل البياضي هذه القصة عن مؤلفنا الحاكم فى كتابه الصراط المستقيم ١ : ٣٨ ـ ٣٩ و ٣ : ٦٣ . وانظر الطرائف لابن طاوس : ٣٣٢ .

٤ . سورة فصلت (٤١) : ١٧ .

هل الاستحباب فعله أو مخلوق فيه ؟ فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : هل كان النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - يقدر أن يهدى أحداً ؟ قال : لا . قال : فما معنى قوله « وَانَّكَ لَتَهدي إلى صِراطٍ مُسْتَقيمٍ »[1] ؟ .

---

١ . سورة الشورى (٤٢) : ٥٢ .

الباب السابع

فى الارادة والكراهة

فكرت وقلت من أصول هذا الباب مسألة الارادة ، فألقيت الى الناس أنه تعالى مريد بذاته أو بارادة قديمة وأنه يريد جميع المعاصي والكفران ويكره من الكفار ايجاد الايمان ، وأنه أراد قتل الانبياء والمؤمنين وأراد عبادة الاوثان وسب رب العالمين . فقبلتم ذلك مني ووافقتموني عليه وناضلتم عنه .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا : هذا يخالف الدين ، وتلوا « وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظلماً لِلعِبَادِ »[1] وقالوا : ارادة القبيح قبيحة والحكيم لا يخلق سب نفسه ولاقتل أنبيائه ، وكيف يأمر بشىء ثم يكرهه ؟ وكيف ينهى عن شىء ثم يريده ؟ قالوا : وقد فعل تعالى غاية ما يدل على أنه تعالى لايريد المعاصي من النهي والزجر والايعاد بالعقاب واقامة الحدود وايجاب اللعن .

حضر جماعة من المعتزلة مع المجبرة ، فقال معتزلي لمجبر : ما الذى أراده الله من فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وماالذي أراده ابليس؟ قال : الكفر . قال : وما الذى أراده فرعون ؟ قال : الكفر . قال : وماالذى أراده موسى؟ قال: الايمان . قال: فاذاً هو المخالف لله وابليس موافق . فانقطع .

وحضرني جماعة منهم يوماً وجرت هذه المسألة ، فقالت بعض المعتزلة :

---

١ . سورة غافر (٤٠) : ٣١ .

لعن الله الشيطان وجنده حيث خالف الرحمن وحزبه . فقال بعض المجبرة : لم تلعن هذا الشيخ وقد وافق الله فى الارادة ؟ فقال المعتزلي : كذبت ! بل خالف الله ووافقكم وأنتم حزب الشيطان ونحن حزب الله ، « ألا انّ حزبَ اللهِ هُمُ المُفلِحُونَ » [1] .

وسأل أبو عثمان الجاحظ [2] أبا عبد الله الجدلي : هل أمر الله المشركين بالايمان ؟ قال : اي والله ! [قال : فهل أراده منه ؟ قال : لاوالله . قال : أفيعذبه عليه ؟ قال : اي والله] [3] قال : فهذا حسن ؟ قال : لاوالله !

وسأل عدلي مجبراً : ما تقول ، ارادة الله أحسن وأفضل للعباد أم ارادة رسوله ؟ قال : بل ارادة الله احسن . قال : أليس عندك أنه أراد الكفر وقتل الانبياء والمعاصي والزنا والسرقة وعبادة الاوثان ، وأراد النبى - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - الايمان والطاعة وترك المعاصي؟ فقد زعمت أنّ الكفر أحسن وأفضل من الايمان . فقال : أقول ارادة الرسول . فقال : زعمت أن ارادة العباد واختيارهم خير وأفضل من ارادة أرحم الراحمين . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول ، ارادة ابليس للعباد خير أو شر ؟فقال: شر لانه أراد أن يضلوا ويكفروا . فقال : أو يستحق بذلك اللعنة ؟ قال : نعم . قال : أليس عندك أنه تعالى أراد ذلك ؟ فوجب أن يكون ارادته أيضاً شراً . فانقطع .

وسأل عدلي مجبراً فقال : ما تقول في رجل زعم أن جميع ماكان فى أيام

---

١ . سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢ .

٢ . هو عمرو بن بحر الكنانى البصرى ، كبير أئمة الادب ومن رؤساء المعتزلة . مات سنة ٢٥٥ .

٣ . التكميل من الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ .

النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ من الكفر والفجور وعبادة الاصنام والوثن والفتن كان منه أو بفعله وارادته ، ما تقول فيه ؟ قال : أقول انه زنديق كافر يستحق القتل لسوء ثنائه على رسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ . قال : فلو قال ذلك في أبي بكر وعمر أو في واحد من الصحابة ؟ قال : أقول يقتل ويرجم لطعنه في الصحابة . قال : أليس عندك أن جميع ذلك من الله وخلقه وارادته ؟ أليس هذا سوء ثناء عليه ؟ أتحب تنزيه النبي والصحابة ولا تحب تنزيه رب العالمين ؟ فانقطع [1] .

وسأل عدلي مجبراً فقال : جرى اليوم بين الرجلين حديث أريد أن أعلم حقيقته : قال : هات ! قال : جرى ذكر الكفر والمعاصي وترك ابليس السجود لادم ، فقال واحد كان جميعه من الله وارادته وخلقه ، وقال الاخر بل كان ذلك من ابليس والله منه بريء ، فأيهما أحق ؟ قال : الحق ماقال الاول وصدق فيه ، ان جميع الكفر والمعاصي والضلال من قبله تعالى والشيطان منه بريء ، وكذب الثاني حيث أضافه الى الشيطان . قال : بل كذبت ! تنزه الشيطان ولا تنزه الرحمن ؟ فانقطع .

وكان مجبر يقص وكان في قصصه : كان النبي يحب ايمان أبي طالب ويكره ايمان وحشي [2] اقتله حمزة ، فنزل جبريل وقال : يقول الله ما تحب وتريد لايكون وما تكره يكون ، يؤمن وحشي ولايؤمن أبو طالب . قال : وفيه نزل : « انكَ لا تَهدي مَن أحبَبتَ » [3] ، وفي وحشي : « قُل يا عِبادِيَ

---

١ . نقل بتلخيص في الصراط المستقيم ٣ : ٦٧ ـ ٦٨ .

٢ . هو وحشي بن حرب الحبشي ، قاتل سيدنا حمزة عم رسول الله . مات في خلافة عثمان .

٣ . سورة القصص (٢٨) : ٥٦ .

«الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله »[1]. فقال عدلي: الى متى تكذب على الله ورسوله وكتابه وتضعه غير موضعه ؟ كأن" هذا نزل برغم النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ . فصفعوه وأخرجوه .

وجاء نصراني الى رجل معتزلي وقال : اريد أن أسلم على يديك فقد عرفت الحق . قال : وكيف ذلك ؟ قال : اختلفت الى رجل أداوي عينه فقال لي يوماً: قد وجب علي حقك وأريد أن انصحك ، قلت : ما ذاك ؟ قال : أسلم ، قلت : تريد نصيحتي واسلامي ؟ قال : نعم ، قلت : فالله يريد نصيحتي واسلامي ؟ قال : لا ، قلت: فأيهما أحق ، أن أعبد وأشكر من يريد نصيحتي واسلامي أومن لم يرده، فانقطع[2]، فقلت ان القوم ليسوا على شيء ...[3] وأسلم وحسن اسلامه. فقال العدلي : صدق فان في زعم المجبرة أنه تعالى يريد فساد الخلق وأن يعذبهم وخلقهم للكفر ، فمن أراد صلاحهم فهو المنعم الذي يجب شكره . ومن كان هذا بناء مذهبه كفى به خزياً .

---

١ . سورة الزمر (٣٩) : ٥٣ .

٢ . نقل فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٨ .

٣ . يجب أن يكون هنا سقط فى الاصل .

الباب الثامن

الكلام فى القرآن

فكرت وقلت : مدار أمورهم على القرآن ، عليه يعتمدون والى آياته يرجعون ومنه يأخذون ويتلون « وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَميعاً »[1]، ويروون عنه ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ: عليكم بالقرآن فان فيه خبر ماقبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما آتيتكم ، وعلمت أني لودعوتهم الى رفض الكتاب أصلا ماتمشى لي أمر، فطلبت للكلام مجالا وأتيتهم حالا فحالا ، أستدرجهم من حيث لايعلمون .

فألقيت اليهم أولا أن ما فى المصحف ليس بقرآن ولا كلام الله ، وأن المكتوب والمسموع من القارئين والمتلوفي المحاريب والمفصل من الايات والسور ليس بقرآن ، وانما القرآن صفة قائمة بذات الباري لايقرأ ولايسمع ، تنفيراً عما فى المصحف. فأما أنتم معاشر اخواني فقبلتم ذلك وجعلتم ذلك عمدة وأوصى به السلف الخلف، ورددتم على المعتزلة حيث خالفوكم وخالفوني وقالوا : كلام الله سور وآيات والقرآن مسموع ومتلو ومكتوب ومحفوظ، وأنه تعالى كلم موسى في وقته وكلم محمداً فى حينه ، وكيف يقول : ياموسى « ألقِ عَصاكَ »[2] وبعد لم يخلق موسى ولا العصا ؟ وكيف يقول: «يا أيُّها المُدَّثر

---

١. سورة آل عمران (٣) ١٠٣ .

٢. سورة الاعراف (٧) ١١٧ وسورة النمل (٢٧) ١٠ وسورة القصص (٢٨) ٣١ .

ثم فأنذر » [1] وبعد لم يخلق أحداً ؟، وقالوا : كلام الله هو هذه السور والايات وهو القرآن وكذلك قال الله تعالى : « انّا أنزلناه قرآناً عربيّاً » [2] وقال : « ق والقرآن المجيد » [3]، وما قلتم فيه وما جئتم به من صفة الكلام فهو غير معقول. وكثر الكلام بينكم وبينهم حتى ظهر الحق ، وعلمت أن هذا الباب لايتمشى فى المعتزلة .

ففكرت وألقيت اليهم ان هذا الكتاب جمع عثمان - والغرض التشكيك فى القرآن - وأن فيه زيادة ونقصاناً ، وأن بعضه ضاع كما أن بعضه شاع . فقبلتم ودونتم ورويتم أن داجناً أكل بعضه وأن بعضهم غيّر بعضه . وقالت المعتزلة : هذا شر من الاول ففيه هدم الدين ، وكيف يضيع ماضمن حفظه رب العالمين فقال « انّا نحن نزّلنا الذكر وانّا له لحافظون » [4] ؟ وان هذا القرآن أنزل على رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - كما هو الان ، نزلت الايات والسور وبيّن المواضع والمبادىء والمقاطع ، وكان كثير من الصحابة يحفظونه كله كأمير المؤمنين - عليه السلام - وابن عباس وأبي بن كعب وعثمان وأبي هريرة وعمر بن الخطاب وغيرهم ، ولما كان يوم مسيلمة الكذاب وقتل حفاظ الكتاب أمر الصديق بكتبة القرآن فى المصاحف ثم جمعه عثمان على مصحف هو التام كما كان في أيام رسول الله ، ورووا أن أبياً قرأ القرآن كله على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأن علياً قرأه على رسول الله كما هو .

---

١ . سورة المدثر (٧٤) : ١ .

٢ . سورة يوسف (١٢) : ٢ .

٣. سورة ق (٥٠) : ١ .

٤. سورة الحجر (١٥) : ٩ .

فصل

حضرت مجلساً حضره المعتزلة والمجبرة ، فقال بعض المجبرة : أنزل الله تعالى القرآن بعضه متشابهاً ليضل الناس عن الدين ، ولو أراد هديهم لانزله محكماً . فقال المعتزلي : كذبت بل أنزل الله كذلك ليدبروا آياته ويعلموا الحق ويميزوا المحكم ويردوا اليه المتشابه ليستحقوا الثواب ، كما وصفهم بأنهم الراسخون فى العلم ، وكيف يقال هذا والله تعالى يقول: « تِبياناً لِكُلّ شَيءٍ وَهُدىً وَرَحمَة »[1] وقال: «انَّ هذا القُرآنَ يَهدي لِلَّتي هِيَ أقوم»؟[2] فبهت .

وسئل مجبر : ماتقول ، القرآن مخلوق ؟ قال : لا . قال : لم ؟ قال : لأنه لو كان مخلوقاً لكان ابن عم الخليفة ، لانهما عربيان مخلوقان . قال : فقل قصيدة امرىء القيس ابن عم الخليفة . فانقطع .

قيل لابي مجالد[3] : أنت تقول القرآن مخلوق ؟ قال : لا . فقيل : أتقول انه خالق ؟ قال : هو شر . قال : فاذا كان لاخالق ولامخلوق فكيف أقول ؟

وقيل لعدلي: ماتقول فى القرآن؟ قال: لاأعرف غير شيئين خالق ومخلوق، فانظروا أيماهو .

ودخل أحمد بن حنبل[4] على بعض الولاة تشبه بمصاب، فقال : مابالك؟

---

١. سورة النحل (١٦) : ٨٩ .

٢. سورة الاسراء (١٧) : ٩ .

٣. كذا فى الاصل ، ولعله محرف . وكيف كان فلا يمكن أن يكون هذا أبامجالد أحمد بن الحسين البغدادى المعتزلى ، الماضى ذكره ، بل كان هو أحد مخالفى المعتزلة كما هو واضح من سياق الكلام .

٤. هو أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيبانى، امام المذهب. توفى سنة ٢٤٢ .

قال : وقعت مصيبة عظيمة ! قال : وما هو ؟ قال : مات القرآن ! قال : كيف وكيف ؟ قال : اذا كان مخلوقاً جاز أن يموت . قال : ليس هو حياً حتى يموت، انما هو كلام . فانقطع .

وقيل لمجبر: القرآن معجز ؟ قال: نعم . قال : فمن شرط المعجز أن يكون عقيب الدعوى ويختص بالمدعي ، والقديم لايختص . فسكت .

وسأل عدلي مجبراً : هل يقدر الله أن يكلم أحداً ؟ فقال : لا ، لان الكلام ليس بمقدور . فقال : هـو أضعف من العباد ؟ فقال : نعم ، يقدر . فقال : قد قلت الكلام مقدور . فانقطع .

وحكى بعض مشايخ المجبرة أن ابراهيم الخواص [1] رأى رجلا مصروعاً فأذن في أذنه ، فنادى الشيطان في جوفه : دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق . فقال معتزلي : ان كان الشيطان يقدر على القتل فهلا قتل جماعة المعتزلة ، ولكن الحمد لله حيث لم نوافق الشيطان ووافقتم أنتم . فانقطع .

---

١. هو ابراهيم بـن أحمد بن اسماعيل السامرائى ، مـن مشايخ الصوفية . توفي سنة ٢٩١ .

الباب التاسع

فى النبوات

لما رأيت أنّ أساس أمرهم على النبوة وقواعد دينهم على الرسالة فبهم يحتج الله على العباد حيث قال : « رُسُلاً مُبشّرين وَمُنذِرينَ لِئلاّ يَكُونَ لِلنّاسِ عَلى الله حُجّةٌ بَعدَ الرُسُل »[1] وقال : « وَما كُنّا مُعذِّبينَ حَتّى نَبعث رَسُولاً »[2]، ووجدتهم أجمعوا على النبوات وعدوه أصلا وردوا على البراهمة واليهود في انكارها ، علمت أن لامجال للكلام في دفعها أصلا . فدبرت في هدمها من وجه لايعلمون وأتيت في ذلك شيئاً فشيئاً من حيث لايشعرون .

فأول ما ألقيت من هذا الباب : أن الرسول لامعنى له والكتاب لافائدة فيه ، لانه اذاكان الايمان والكفر خلق الله والكافرلايؤمن اذا لم يخلق فيه الايمان وان ملأ الدنيا بالرسل والكتب ، وان خلق فيه الايمان آمن وان لم يكن ثَمّ رسول ولاكتاب، فأي فائدة للرسل وأي تعلق له بالاعمال ؟ واذا قيل لئلا يكون للعباد حجة فقولوا أي حجة أعظم من أن يقول: خلقت في الكفر وارادته وأعطيت الاستطاعة الموجبة له ومنعتني من الايمان ولم تخلقه ولم ترده ، فهل ينفع مع

---

١. سورة النساء (٤) : ١٦٥ .

٢. سورة الاسراء (١٧) : ١٥ .

هذا رسول وتنقطع حجة ؟ . فقامت المعتزلة على انكار هذه المقالة وقابلوني بالرد ، وقبلتم أنتم ، فشكر الله سعيكم !

ولما أظهرت هذه الفصول في أمر الرسول قام معتزلي وقال : كذبت ياعدو الله على الله وعلى رسله ، بل العبد مخلى كما قال : « وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَن شاءَ فليُؤمِن وَمَن شاءَ فليَكفُر » ⁽¹⁾ . قلت لمشايخنا : أجيبوه ! فلم يكن عندهم شيء .

ولما لم يقبلوا مني هذا دبرت فألقيت اليهم أن الانبياء يكذبون ويذنبون ، وأن آدم أكل الشجرة حتى أخرج من الجنة ، وأن ابراهيم كذب ثلاث كذبات ، وأن يونس غضب على ربه فحبس في بطن الحوت بعقوبته ، وأن داود عشق امرأة اوريا فأمر به فقتل فتزوج بامرأته بعد أن كان قال كلني الى نفسي ، وأن سليمان عبد الصنم في بيته وجلس الشيطان على سرير ملكه وباشر نساءه وجواريه في حال الحيض ولم يصل العصر اشتغالا بالخيل ثم عاقبها بضرب الاعناق ، وأن يوسف قعد بين فخذي امرأة العزيز حتى نودي بالنهي عن الذنب ، وأن اخوته القوه في الجب وهم بالغون أنبياء لما آثره أبوه عليهم بالحب ، وأن محمداً مدح الاصنام فقرأ : « تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى » ، وأنه عشق امرأة زيد فحملهما على الافتراق فأمر زيداً بالطلاق ثم تزوج بها وخاف الناس ولم يخف الله . كل ذلك تنفيراً عن المرسلين الذين هم أصل الدين .

فقبلتم ذلك مني وذكرتم ذلك على المنابر ودرستم في المدارس ودونتم ذلك في الكتب ، غير هؤلاء المعتزلة ـ الذين هم أعدائي وأعداؤكم ـ أنكروا ذلك كله وقالوا : الانبياء معصومون عن الخطأ والزلل في القول والعمل ، وأن أقوالهم وأفعالهم حجة ، وأنهم شهداء الله على خلقه والقائمون على دينه وهم

---

١. سورة الكهف (١٨) : ٢٨ .

المختارون الموصوفون بأنهم المخلصون .

ولما وقعت هذه المسألة وأظهر كل مذهبه لم يصدقوا شيئاً مماروينا ولاقبلوا شيئاً مما قلنا ، وذكروا أنه قيل الشيطان ودسيس الملحدين، وكيف يجوز ذلك عليهم وهم الاخيار الابرار كما قال الله: « وَانَّهُم عِندَنَا لَمِنَ المُصطَفَينَ الاخيَارِ » ، فطالبنا المعتزلة بتصحيح مذهبهم ، فذكروا أمراً معقولا وتلوا آيات وفصولا .

قلنا : وما معنى قصة آدم ؟ قالوا : كان نهي تنزيه لانهي تحريم ، او ترك الاستدلال فأكل غير ماوقع اليه الاشارة بالمقال . قلنا : فما باله سمى ابنه عبد الحرث حتى وصفا بأنهما جعلاله شركاء ؟ قالوا : كذبت ! لم يكن ذلك من آدم وانما كان قوم من أولاده قالوا ذلك .

قلنا : فما معنى قول ابراهيم : « فَنَظَرَ نَظرَةً في النُّجومِ فَقالَ انّي سَقيمٌ » ؟ [٢] قالوا : كان سقيماً . قلنا : قوله « بَل فَعَلَهُ كَبيرُهُم » ؟ [٣] قالوا : قال بشرط أن كلموا .

قلنا : فحديث داود ؟ قالوا : كل ما رويتم فكذب وزور .

قلنا : فحديث سليمان ؟ فقالوا : لم ينزل بما قلتم القرآن . قلنا : قوله « وَألقَينا عَلى كُرسيِّهِ جَسَداً » ؟ [٤] قالوا : هو جسده يمرض . قلنا : قوله « رُدوها عَلَيّ » ؟ [٥] قالوا : ذلك الخيل فمسح سوقها وأعناقها وسبلها .

---

١. سورة ص (٣٨) : ٤٧ .

٢. سورة الصافات (٣٧) : ٨٩ .

٣. سورة الانبياء (٢١) : ٦٣ .

٤. سورة ص (٣٨) : ٣٤ .

٥. نفس السورة : ٣٣ .

قلنا : فحديث اخوة يوسف ؟ قالوا : كانوا أطفالا ولذلك قالوا « نرتع ونلعب »[1] .

قلنا : فحديث يوسف : « وَهَمَّ بِهَا » ؟[2] قالوا : همها للقبيح وهمه للدفع ولذلك قال الله تعالى : « كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ »[3] .

قلنا : فمحمد حيث قال: «تلك الغرانيق العلى» في أثناء كلام رب العالمين؟ قالوا : لا بل قرأها بعض المنافقين وألقاها في أثناء كلام خاتم النبيين . قلنا : ليس عشق امرأة زيد ؟ قالوا : كلا وحاشا .

فصل

فكرت وقلت : مدار أمر النبوة على المعجز ، فألقيت اليهم أن المعجز يظهر على غير الانبياء بل يظهر على المتنبى والكفار والمغترين ، واذا ذكر فلق البحر لموسى قابلناهم بوقوفه وجريه لامر فرعون ، واذا ذكر المسرى الى بيت المقدس قابلناهم بمسرى كثير من الناس اكثر من ذلك . فقبلتم ذلك عني أحسن قبول واقتديتم بي فيها .

وأنكرت المعتزلة ذلك وكفروا من قال ان البحر وقف لفرعون بأمره أو جرى بذكره ، وقالوا في هذا هدم الدين .

---

١. مأخوذ من قوله تعالى فى سورة يوسف (١٢) : ١٢ حكاية عن اخوة يوسف : « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب . . »

٢. نفس السورة : ٢٤ .

٣. نفس السورة : ٢٤ .

فصل

فمعظم هذا الامر الشرائع، فألقيت بأن الحقيقة غير الشريعة . فقبلتم وصرحتم به واعتمدتم عليه وقلتم في مجالسكم : الشريعة كذا والحقيقة كذا .

غير هؤلاء المعتزلة فانهم أنكروا ذلك وقالوا : الحقيقة هى الشريعة وكل ما ليس بشريعة فهو كفر، ورووا : من أدخل في ديننا ما ليس منه فهو رد ،وتلوا: « ماٰ اٰتيكُـمُ الرَّسُـولُ فخذوه وَماٰ نَهيكُـم عَنهُ فَانتَـهـُوا » . [1]

---

١. سورة الحشر (٥٩) : ٧ .

الباب العاشر

الكلام فى الامامة والامر بالمعروف

تدبرت أبواب الامامـة فوجدت لنفسي مجالا وفـي ذلك المقام مقالا ، ورأيت أنه بعد النبوة ليس أمر أعظم من الامامة ولامحل أجل من محل الزعامة ، ولم يمكنني دفعها رأساً فوضعت لرفعها أساساً وقلت: بين أهل البيت والصحابة فيها اختلاف ولايصح الجمع بين موالاتهما ولابد من البراءة مـن أحدهما . فوقع هذا الكلام مني كل موقع، وعند ذلك تفرق الناس: فمنهم من طار قلبه الى أهل البيت وادعوا محبتهم واعتقدوا بغض الصحابة وشتموهم وظلموهم فأتيتهم من هذا الوجه وقلت : بأهل بيت نبيكم تمسكوا ، ومنهم من مال الى الصحابة ودان ببغض أهل القرابة ، فكنتم اخواني من هذا القبيل فصوبتم طلحة والزبير في محاربة علي وواليتم معاوية وان كان حرباً للوصي ، وملتم الى يزيد وأتباعه وان كان قتل الحسين وأشياعه ، وقلتم بامامة المروانية مع ما ظهر فيه . وأما الفرقة الثانية فهم الرافضة قالوا : الحق لامير المؤمنين غصبه أبوبكر باتفاق الصحابة ، وانهم كفروا بدفع صاحب الحق عن حقه ووضعه في غير موضعه .

وجاءت المعتزلة وأنكرت القولين وردوا المذهبين ونقضوا ما بنيا وهدموا ما أسسا ، وقالوا : الحق موالاة أهل البيت والصحابة وأن لم يكن بينهم خلاف بل كان بين الكل موافقة وائتلاف ، ولذلك زوج علي ـ عليه السلام ـ ابنته من عمر وبايع أبابكر يوم البيعة ورضي فى الشورى بعثمان ، ولذلك أمسك عن

القتال وعن سوء المقال ، ولذلك كان يشاورهم ويشاورونه ويصلي بصلاتهم حيث يصلون وما نقض شيئاً من أحكامهم فـي أيامه ولااعترض على أمر مـن أمورهم، ولذلك أمرعمر علياً بغسله ودفنه وبعث اليه عثمان يستنصره ويستسقيه، فكل ذلك يدل على الموافقة. وذكروا أن كل واحد من المذهبين غلو وتقصير، وأن الحق في ما بين ذلك وهو الجمع بين موالاتهم .

ورووا فـي فضل أهـل البيت أخباراً وآثاراً ، كقوله تعالى : « قـُل لا أسئلـُكـُم عليهِ أجراً الا المـَوَدّة فى القـُربى » [1]، وكقوله في مدحهم في هل أتى : [وَيُطعِمـُونَ الطـّعامَ علـى حُبـِّهِ مسكيناً وَيـتيماً وَأسيراً] [2] وكقوله: «وتـُؤتـُونَ الزّكوةَ وهـُم راكِعـُون ومـَن يـتـَوَلّى اللهَ وَرسُولَـهُ وَالّذينَ آمـَنـُوا فـانّ حزبَ اللهِ هـُمُ الغالِبُونَ » [3] وحزب الله هم أهل بيت رسول الله ، وكقوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ : علي مني وأنامنه، وكقوله : أنت مني بمنزلة هرون من موسى ، وكقوله : من كنت مولاه فهذا علي مولاه ، وكقوله : حبك ايمان وبغضك نفاق، وكقوله : هو أخي ووصيي ، وكقوله : مثل أهـل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح مـن ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ، وكقوله : اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، وكقول عمر : لولاعلي لهلك عمر ، وكما روى في حديث : أعداء علي يمرقون من الدين ويفارقون جماعة المسلمين .

وذكروا فى الصحابة أنهم أنصار الحق والذابون عـن حريم الدين المجاهدون في سبيل الله، وتلوا: « وَالسّابِقـُونَ الاوّلـُونَ مـِنَ الـمهاجرين

---

١. سورة الشورى (٤٢) : ٢٣ .

٢. سورة الانسان (٧٦) : ٨ .

٣. سورة المائدة (٥) : ٥٥ ـ ٥٦ .

وَالانصارِ ... » (١) ، و «لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤمنينَ اذْ يُبايِعُونَكَ تَحتَ الشَّجَرَة » (٢) ، و «ثانِيَ اثنَيْنِ اذهُما فِي الغار » (٣) ، وكقوله : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، وكقوله : من أحب أبابكر فقد أقام الدين ، وكقوله في ذم الرافضة ماهو أشهر من الشمس بأنهم يسبون الصحابة وأنه منهم بَرِيء .

فلما ذكروا هذه الايات ورووا هذه الاثار واحتجوا بها ضاق قلبي بهم وقلّت حيلتي فيهم ، ولولا هؤلاء لتبعني الناس أجمعون .

ومما ألقيت اليهم من هذا الباب أن الطاعة تجب لكل متغلب ولو كان عبداً حبشياً ، وأنه لايجوز الخروج على أحد وان كان ظالماً جائراً ، ألتمس بذلك ابطال الامامة والامر بالمعروف وترك الخروج على الظلمة ليظهر الفساد ويخفى السداد ويندرس الحق . فقبلتم ذلك عني ورويتم في تأييده الاحاديث وتقربتم الى أئمة الضلال والى الجهال .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار ، وقالوا الامامة تجب لكل تقي معصوم لايظلم ولايجور ، وان دفع الظلم والظلمة واجب بحسب الامكان ، وتلوا : « وَان طائِفَتانِ مِنَ المُؤمِنينَ اقتتلُوا . . . » (٤) وتلوا : « وَأمُر بِالمَعرُوف وانهَ عَنِ المُنكَر » (٥) ، ورووا في ذلك آثاراً وأبطلوا بذلك ما أصّلت وأفسدوا ما صححت .

---

١. سورة التوبة (٩) : ١٠٠ .

٢. سورة الفتح (٤٨) : ١٨ .

٣. سورة التوبة (٩) : ٤٠ .

٤. سورة الحجرات (٤٩) : ٩ .

٥. سورة لقمان (٣١) : ١٧ .

فصل

فكرت وقلت : لاأجد أعظم في هدم الدين أثراً من معاوية ، فانه أول من خرج على أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ثم تبعه السفيانية والمروانية ، فهو المؤسس وهم بنوا وهو مهد الامر وعلى طريقته مشوا . فألقيت اليهم بأنه فعل ما فعل باجتهاد، وأنه ما أصاب ولايجوز لعنه ، وأنه كان اماماً من أئمة المسلمين، وأن لعنه خطأ وأنه خال المؤمنين وكاتب كلام رب العالمين ، وأن أهـل بيته كلهم أئمة لايجوز البراءة منهم بل يجب موالاتهم .

وأنكرت المعتزلة ذلك أشد انكار وقالوا : معاوية باغ ضال ، فمرة ضللوه لخروجه على امام المسلمين وقتل عماربن ياسر [1] سيد أصحاب أمير المؤمنين، ومرة كفروه بالحاق زياد [2] بأبيه مع نفي رسول الله عنه اياه وادعاء أبيه وقتل حجر بن عدي [3] صبراً وأمره حتى سم الحسن ثم تغلب على الدنيا فأظهر الظلم والعناد ومذاهب الالحاد ، وقال النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ : معاوية في تابوت من النار ، وقـال : اذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه ، وقـد لعنه أمير المؤمنين في قنوته ، وقال ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ لعمار : ستقتلك الفئة الباغية فقتله معاوية . ثم جـرى على طريقه السفيانية ، فقتل يزيـد

---

١. هو الصحابى الجليل ، الذى استشهد مع أميرالمؤمنين بصفين سنة ٣٧ .

٢. هـو زياد بن أبيه ، ولى العراق لمعاوية وبها مات سنة ٥٣ . ولدته سمية جارية الحارث بن كلدة الثقفى واختلفوا فى من هـو أبوه ، فتبناه عبيد الثقفى مولى الحارث بن كلدة ، الى أن ادعى معاوية أنه أخوه من أبيه أبى سفيان فألحقه بنسبه فى سنة ٤٤ . والى هذا يشير المؤلف فى المتن .

٣. هو حجر بن عدى بن جبلة الكندى. صحابى جليل . سكن الكوفة، وقتل مع أصحابه بأمر معاوية فى مرج عذراء من قرى دمشق سنة ٥١ .

ـ لعنه الله ـ حسيناً ـ عليه السلام ـ وشيعته وسبعة عشر من أهل بيته ، وسلط على الناس من أهل البيت زياداً [1]، ومات سكران . وتبعهما المروانية فأظهر الوليد[2] الالحاد، وقتل هشام[3] زيد بن على [4] ـ عليه السلام ـ ، ومات مروان الحمار[5] وهو زنديق . وقد قال رسول الله : اذا بلغ بنو أبى العاص [6] ثمانين رجلا اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولا ودين الله دغلا. وذكروا أن الشجرة الملعونة فى القرآن هم بنو مروان ، وأن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ لعنهم .

لقيت يوماً معاوية فقلت : جمعني واياك وقومك دار الندوة ، ندبر في أمر محمد ودينه . قال : نعم . قلت. فلماذا تنصر دينه وتركت دين الاباء وخالفت اولئك الشيوخ الكبار ؟ فقال : أنا على رأس أمري أطلب فرصة ، وقد فعلت ما فعلت وليس ثمّ أمر حتى أردّ الناس الى دين الاباء . ثم ذكر أصحاب القليب

---

١. كذا فى الاصل .

٢. أى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ، عاشر الخلفاء الامويين ، الماضى ذكره .

٣. هو هشام بن عبدالملك بن مروان ، الخليفة الاموى. بويع بالخلافة سنة ١٠٥ ، ومات سنة ١٢٥ .

٤. هو زيد بن على بن الحسين ، العلوى الهاشمي . ثار على الامويين واستشهد فى سنة ١٢٢ . اليه تنسب الفرقة الزيدية .

٥. هو مروان بن محمد بن مروان ، آخـر الخلفاء الامويين بالشام . استولى على الحكم فى سنة ١٢٧ ، وقتل فى سنة ١٣٢ .

٦. هو أبو العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي ، جد الخليفة عثمان ابن عفان ومروان بن الحكم رأس الدولة الاموية المروانية .

وبكى عليهم وأنشد القصيدة الحائية التى قالها أمية بن [أبي] الصلت [1] يرثي من أصيب من قريش يوم بدر ، أولها :

ألا بكيت علـى الكرا م بنى الكرام أولى الممادح
كبكا الحمام على فرو ع الايك فى الغصن الجوانح
يبكيـن حرى مستكيـ ـنات يرحـن مع الروائح
أمثالهـن الباكيـا ت المعولات من النوائح
من يبكهم يبكي علـى حزن ويصدق كل مادح
مـاذا ببـدر فـالعقـ ـقل من مرازبـة جحاجح
شيخ [2] وشبـان بها ليـل مغاوير وحاوح
من كـل بطريق لبط ريق نقـي اللون واضح
القـائلين الفـاعليـ ـن الامرين بكل صالح
المطعمين الشحم فـو ق الخبز شحماً كالانافح
لكرامهم فوق الكرا م مزيـة وزن الرواجـح
كتثاقـل الا رطال بـالـ ـقسطاس فى الايدى الموائح
خذلتهـم فئة وهـم يحمون عورات الفضائح
الضـاربيـن الاقدميـ ـة [3] با لمهندة الصفائح

١. هو أمية بن عبد الله بن أبى ربيعة الثقفى ، شاعر جاهلى من أهل الطائف ، وبها مات سنة ٥ من الهجرة . والشعر فى ديوانه المطبوع : ٣٤٥ ـ ٣٥١ .

٢. فى سيرة ابن هشام ٣ : ٣١ (من طبعة القاهرة ـ ١٣٥٥) والعقد الفريد ٣ : ٣٠٠ والديوان : ٣٤٦ (دمشق ـ ١٩٧٤) وشرحه : ٢٤ (بيروت ـ ١٩٨٠) . شمط ، وفى البصائر والذخائر لابى حيان (٢ : ٦٨٢) : شيب .

٣. فى الديوان : التقدمية .

قتلتهم ألقوا بلاقـ رة كأضجاع الذبائح [1]
ولقد عنا ني صوتهم من بين مستنق وصائح
لله درّ بني لوي [2] أيّم منهم وناكح
ان لم يغيروا غارة شعواء تجحر كل نابح
بالمقربات المبعدا ت الطامحات مع الطوامح
مرداً على جرد الى أسد مكالبة كوالح
حتى يلاقي كل قرن قرنه مشي المصافح [3]
بزهاء ألف ثم ألـ ف بين ذي بدن ورامح

فلما فرغ من انشاد القصيدة تنفسنا الصعداء وبكينا عليهم وجرى بيننا أحاديث .

فاذاً معتزلي قام وقرأ : « هُوَ الّذي أرسَلَ رَسولَهُ بِالهُدى ودين الحقّ - الاية » [4] فكأنه ألقمهم الحجر. ثم قرأ : « يُريدُون أنْ يُطفِئوا نُورَ الله بأفواههم - الاية » [5] . قلت أخرجوه !

فصل

اجتمع يوماً في ناد ناس ، فجرى ذكر معاوية فمدحه بعض مشايخنا فقال : هو امام من الائمة . فقام معتزلي وقال : أتقول له وقد فعل وفعل ... - يعد معائبه ونحن ساكتون - ، ثم أنشأ يقول :

---

١. هذا البيت لم يرد فى الديوان .
٢. فى الديوان : بنى على .
٣. فى الديوان : ويلاق قرن قرنه مشى المصافح للمصافح .
٤. سورة التوبة (٩) : ٣٢ .
٥. نفس السورة : ٣٢ .

قالت تحب معاوية ؟ قلت اسكتي يازانية
قالت أسأت جوابنا فأعدت قولي ثانية
يا زانية يا زانية يا بنت ألفي زانية
أأحب من شتم الوصي أخا النبي علانية ؟
فعلى يزيد لعنة وعلى أبيه ثمانية [1]

ثم قال : قيل لاعرابي أتحب معاوية ؟ قال: وجدت معه أربعة ان قلت معها أتحبه لتكفر ، قيل : وما هي ؟ قال : قاتل أبوه النبي مراراً ، وقاتل هو وصيه ، وقتل ابنه يزيد الحسين بن علي، وأخرجت أمه هند كبد عم [النبي] حمزة . فقال من حضر : لعن الله معاوية !

حكى معتزلي أن أباسفيان جاء الى علي - عليه السلام - يوم السقيفة وقال : أترضى أن يلي عليك بنو تيم ؟ أخرج وحارب ؟ لاملأنّ المدينة خيلا ورجلا. فقال - عليه السلام - : قد علمت أنك ما نصحت الاسلام وأهله قط ! أتأمرني أن أقاتل الصديق ؟ وحكي أنه دخل على عثمان يوم بويع له وقال : اني لارجو أن يعود ديننا كما عاد ملكنا ! فأمر عثمان فأخرج ، وقال : لو لا أنه شيخ خرف لقتلته .

---

١. الشعر للصاحب بن عباد فى الكامل البهائي لعماد الدين الطبرى ـ من القرن السابع ـ ٢ : ٢١٥ (طهران ـ ١٣٧٦) وروضات الجنات ٢: ٣٠ (طهران ـ ١٣٩٠) ، وهو ساقط من الديوان المطبوع والسبب ظاهر . وانما أثبتناه أعلاه حفظاً للنص ، كما احتفظنا على كل ما جاء فى الكتاب من التهجم العنيف على الفرق المختلفة بما فيها الامامية وأكابرهم .

ولما قتل عمار [1] قال عبد الله بن عمر [2] : وقتل عمار ؟ قال معاوية : فماذا نفعل ؟ قال : أليس النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قال « ستقتلك الفئة الباغية » ؟ قال : نحن ماقتلناه ، وانما قتله علي حيث جاء به الى الحرب ! قال : وحمزة قتله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حيث جاء به الى أحد ؟

---

١. أي عمار بن ياسر ، الصحابي الجليل ، الماضي ذكره .

٢. هو عبد الله بن عمر بن الخطاب ، صحابي فقيه ، وهو آخر من توفي من الصحابة بمكة في سنة ٧٣ .

الباب الحادى عشر

فى الاجال والاموال والارزاق

رأيت من عظيم هذا الباب أمور الدماء والاموال، فوجدت لنفسي المجال. فألقيت بأن الحرام والمغصوب كلها أرزاق من غصبها وأكلها ، أسهل عليهم أمور الاموال ليسهل الغصوب والظلم . فقبلتم ذلك .

وأنكرت المعتزلة وقالوا : الحرام لايكون رزقاً ، ولذلك مدح الله المنفق من رزقه وذم الغاصب على غصبه وأمر السارق بقطع يده وقاطع الطريق بقتله وصلبه ، ومن المحال أن يجعله رزقه ثم يعاقبه عليه .

فلما رأى بعض مشايخنا هذا الالزام قالوا : بأي شيء نستريح من هؤلاء المعتزلة ؟ فقالوا : الاموال والفروج كلها على الاباحة ، والمنع ذنب ، وليس فى المظالم عقوبة ولافى الظلم تبعة . فعند ذلك تحيرت المعتزلة وقالوا : ما نقول لهؤلاء ؟ وسمونا الاباحية .

حكى معتزلي أن الصاحب [1] شكى اليه بعض السراق فسأله عن حاله ، قال : فلما بلغنا مكان كذا فاذاً قضاء الله وقدره كان بأن يسرق منا. فقال الصاحب: تمسك بهذا السارق فأنا لاأقدر على دفعه .

وقيل لمجبر : أليس الله خلق السرقة فى السارق وجعل المسروق رزقاً له ؟

١. يعنى ابن عباد، الماضى ذكره .

قال : نعم . قال : فما بال قطع يده ودمه ولعنه ؟ فسكت وقال : لااعتراض على الرب .

وقيل لصوفي : انّ فلاناً يأخذ مالك ويزني عيالك . قال: لاأمنعه عن شيء يشتهيه ، فالمنع والقطع حرام !

فألقيت فى الخواطر أن المقتول الله قتله وهو متفرد بالقتل لان المتولد لايكون فعل الانسان ، أريد بذلك ابطال القصاص والديات وتسهيل القتل . فتمّ لي ذلك فيكم . وأباه المعتزلة أشد الاباء وقالوا : هو فعل العبد والذلك يجب القصاص والدية والكفارة والتوبة ، وقرأوا قوله : « وَمَن يَقتُل مُؤمِناً مُتعَمِّداً فجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها » [1] وقوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : من قتل مؤمناً يجيء يوم القيامة آيساً من رحمة الله .

وألقيت بأن المقتول لو لم يقتل لمات، أريد بذلك أنه قتل لاجله دفعاً للذنب عن القاتل . فقبلتم وأنكرت المعتزلة وقالوا : لو لم يقتل كان يجوز أن يعيش ويبقى ، لانه تعالى قادر على ان يبقيه ويميت ، فما معنى القطع لاحد الامرين ؟

وسأل عدلي مجبراً عن قتل الانبياء أكان خلق الله أم لا ؟ فقال: بل خلق الله . قال: فما معنى ذم اليهود بأنهم يقتلون النبيين بغير حق[2] وهو القاتل ؟ فسكت .

ووجدت الشريعة وردت بالقصاص والعقوبة فى العمد والدية والكفارة فى الخطأ ، فألقيت بأن القتل ليس فعل العبد اذ هو الجراحات تفرد الله بفعلها - أروم ابطال ما وردت به الشريعة - وأي معنى للفرق ، والخطأ لايجوز على الله تعالى ؟ اذ لو رفعت القصاص أصلا لما قبل مني . فقبلتم وأباه المعتزلة .

---

١. سورة النساء (٤) : ٩٣ .

٢. جاء ذلك فى القرآن الكريم فى سورة البقرة (٢) : ٦١ وسورة آل عمران (٣) : ٢١ .

قال المعتزلي : أليس عندكم اذا لم يخلق الله تعالى القتل لايكون في العالم قتل ؟ قيل : نعم . قال : ولو خلق كان وان أوجب القصاص ؟ قيل : نعم . قال : فما معنى قوله : « وَلَكُم في القِصاصِ حياةٌ »[1] ؟ فانقطع .

---

1) سورة البقرة (٢) : ١٧٩ .

الباب الثانى عشر

فى جزاء الاعمال والوعيد

قلت عمدة هذا الباب الاقدام على الطاعات واجتناب الخطيئات، وعلمت أني ان نهيتهم عن الطاعات وأمرتهم بالمعاصي كان صريح مخالفة الشرع ولا يروج ذلك . فألقيت أن لاجزاء على واحد، وأن الطاعة لايستحق بها الثواب والمعاصي لا يستحق بها العقاب ، ويجوز أن يدخل الله فرعون وسائر الكفار دار القرار والانبياء دار البوار ، أنفرّ الناس عن الطاعات وأجرأهم على المعاصي . فقبلتم ذلك وقلتم : ديننا ودين آبائنا ، مرحباً بالاتفاق !

وأنكرت المعتزلة أشد الانكار وقالوا : في هذا هدم الدين ومخالفة كتاب رب العالمين في قوله : « جَزاءً بِما كانُوا يَعمَلُون » [1] ، وان كان الامر كما زعمتم فما معنى الحساب والجزاء ؟ وما معنى الامر بالطاعة والنهي عن المعصية ؟ وتلوا : « وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدخِلهُ ناراً خالداً فيها » [2] ونحو ذلك من الآيات .

وألقيت اليهم ـ حثاً على المعاصي وجرأة وتثبيطاً عن الطاعة ـ بأن يوم القيامة يحمل ذنوب أهل الاسلام على اليهود والنصارى ، ويدفع اليهم طاعة

---

١. سورة السجدة (٣٢) : ١٧ .

٢. سورة النساء (٤) : ١٤ .

الملائكة . فوافقتموني وأظهرتم ذلك وتأولتم الاثارعليه وقررتم عيني وطيبتم نفسي ورعيتم حق الموافقة بيني وبينكم .

وقامت المعتزلة بالانكار وتلوا : « مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أساءَ فَعَلَيْها » [1] ، « وَلاتَزِرُوا زِرَةٌ وِزرَ أخرىٰ » [2] ، « وأن لَيسَ لِلانسانِ الا ما سَعىٰ » [3] ونحو ذلك ، وضللوا من روى ذلك ودان بـه . فضاق قلبي بمخالفتهم وزاد العداوة بيني وبينهم .

فألقيت اليهم بأن الاطفال تعذب بذنوب الاباء ، غرضي بذلك اظهار القول بجواز العقوبة من غير ذنب . فقبلتم ، وخالفت المعتزلة وقالوا : أطفال المسلمين مع آبائهم فى الجنة لقوله تعالى : « والّذينَ آمَنُوا وَاتّبَعَتهُم ذُرِّيتُهُم بِايمانٍ ألحَقنا بِهِم ذُرِّيتَهُم » [4] ، وأطفال الكفار خدم أهل الجنة كما وردت بـه السنة . وذكر شيخنا أبوالحسن [5] أنـه يجوز أن يعذب الله الانبياء والابرار ويثيب الفراعنة ، ويكون عدلا منه . فسرّني قوله وقلت : مرحباً بـه وبقوله !

وأنكرت المعتزلة ذلك وتلوا الايات وقالوا : هذا لايفعله لانه أخبر أنه لا يفعله ، وقالوا : اذا جاز له خلف الوعد فما الأمان ؟

قصّ مجبر فقال : يوم القيامة يغفر لجميع مذنبي أمة محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ثم ينادى : يا عبادي ! أمثل هذا يؤتى ان كان لكم غناء فى

---

١. سورة فصلت (٤١) : ٤٦ .

٢. سورة الانعام (٦) : ١٦٤ .

٣. سورة النجم (٥٣) : ٣٩ .

٤. سورة الطور (٥٢) : ٢١ .

٥. يعنى الاشعرى ، رئيس المذهب ، الماضى ذكره .

الطاعة ، فما بالكم لم تأتوني بالمعاصي لاغفرالكم ؟ قال معتزلي : هذا اغراء بالمعاصي . فقال : رغماً لكم !

ويحكى أن مجبراً حضره الوفاة وعليه ديون جمة ، فجمع أولاده وقال لهم: اني قد علمت أني من احدى القبضتين فاحتفظوا بمالكم ولاتقضوا عني شيئاً من ديوني ، فاني ان كنت من أهل الجنة لم يضرني شيء ، وان كنت من أهل النار لم ينفعني شيء [1]. فقال معتزلي : هذا اعتقاد جميعكم ؟ قال : نعم . قال : بئس الاعتقاد وبئس الزاد .

وسأل عدلي مجبراً ـ يسمى عبد الله بن داود ـ [2] قال : أليس عندكم أن العبد أتي في كفره من قبل الله ، وأطفال المشركين يعذبون بذنوب آبائهم ؟ قال : بلى . قال : أفكلكم يقول هذا ؟ قال : نعم . قال : فبأي ذنب هذا ولاذنب من قبله ؟ تباًلكم ! ما تقول في مشرك ولد له ابن ومات الابن ثم أسلم المشرك ، كيف حاله ؟ قال : المشرك الذى اسلم فى الجنة وطفله فى النار . قال: تباً لهذا القول ، أليس بذنبه أخذ ؟ فما باله غفر له ولم يغفر لولده ؟

قال عدلي لمجبر: أليس عندكم يحمل ذنوب المسلمين على الكفار؟ قال: نعم . قال : فالمعاصي أنفع لانه يحمل على الكفار فيغمّهم ! وقال : اذاً يحمل عليه ذنبه لانه خلقه ؟ قال : نعم !

---

١. نقله البياضى فى الصراط المستقيم ٣ : ٦٠ .

٢. مر ذكره .

الباب الثالث عشر

في ذكر السلف

أجتمعت أنا وجماعة من مشايخنا مع المعتزلة ، فجرى ذكر المذاهب ، فذكر معتزلي أن لهم من الاسناد ما ليس لاحد من فرق الامه ، فإن اسنادهم يتصل بواصل وعمرو ، وهما أخذا من محمد ابن الحنفية عن أمير المؤمنين علي ابن أبى طالب عن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فهل لاحد سلف كسلفنا أو خلف كخلفنا ؟ وأن مذهبنا هاشمي ومذهب الجبر أموي ، وأنا سمينا بالموحدة العدلية ولقبنا بالمعتزلة كما لقب ابراهيم ـ عليه السلام ـ حين قال : « وَأعتَزِلُكُم وَما تَدعُونَ مِن دُونِ اللهِ » [1] ، وعن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ قال : من اعتزل الشر سقط فى الخير . وما ورد اسم الاعتزال الافى الاعتزال عن الشر ، فلما اعتزلنا جميع البدع والضلالة ولزمنا الطريقة المستقيمة لقبنا بذلك . والحمد لله الذى هدانا لهذا وعصمنا في ديننا ودنيانا .

ثم قال : يا معشر المجبرة إعدوا رجالكم نعدوا وشمروا للقول تستعدوا . فأخذني ماقرب ومابعد ، وقلت : أجيبوا ابن الفاعلة ! فمن هو ومن سلفه وخلفه حتى يفتح علينا ويتطاول هذا التطاول ؟ فقيل له : ومن سلفكم ومن خلفكم

---

١. سورة مريم (١٩) : ٤٨ .

بل السلف لنا والخلف منا ! فقال المعتزلي : عدوا ونعد :

أما سلفنا فأولهم الملائكة الابرار المقربون، لا يَعصُونَ اللهَ ما أمَرَهُم ـ الاية [1] ، بَل عِبادٌ مُكرَمُونَ لا يَسبِقُونَهُ بِالقَولِ وَهُم بِأمرِهِ يَعمَلُونَ يَعلَمُ ما بَينَ أيديهِم وَما خلفَهُم ولا يَشفَعُونَ الا لِمَنِ ارتَضى وَهُم مِن خَشيَتِهِ مُشفِقُونَ [2]. ألا ترى كيف أضافوا الذنب الى العباد فقالوا : أتَجعَلُ فيها مَن يُفسِدُ فيها وَيَسفِكُ الدِّماءَ وَنَحنُ نُسَبِّحُ بِحمدك وَنُقَدِّسُ لكَ [3] . ثم من بعدهم الانبياء المرسلون . ألا ترى أن آدم ـ عليه السلام ـ كيف أضاف الظلم الى نفسه فقال : رَبَّنا ظَلَمنا أنفُسَنا وان لَم تَغفِرلَنا وتَرحمنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرينَ [4] . فقلت : انما قال رغماً لي حيث قلت رَبِّ بِما أغوَيتَني [5] . فقال : كذبت يا ملعون ! لو كذب لانكر عليه كما أنكر عليك .

ثم قال : ومن سلفنا يوسف ـ عليه السلام ـ حيث قال: مِن بَعدِ أن نَزغَ الشَّيطانُ بَيني وبَينَ اخوَتي [6] . فقلت : على الخبير سقطت ! حضرت المجلس الذي حضره يوسف واخوته وهو يوبخهم وهم يعتذرون فقلت ـ ومعي جماعة من أصحابي وأتباعي من مشايخ المجبرة ـ : ما هذا الاعتذار ؟ والى كم هذا السكوت ؟ أليس كان هذا الايقاع خلق الله فيهم وكانوا

---

١. سورة التحريم (٦٦) : ٦ .

٢. سورة الانبياء (٢١) : ٢٨ .

٣. سورة البقرة (٢) : ٣٠ .

٤. سورة الاعراف (٧) : ٢٣ .

٥. سورة الحجر (١٥) : ٣٩ .

٦. سورة يوسف (١٢) : ١٠٠ .

لايقدرون على تركه فما ذنبهم ؟ فصاح مشايخنا وقالوا : أحسنت والله أنت ! وأخذ يوسف يلعنني ويوركني الذنب ويقول نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي. فقال المعتزلي : كذبت وصدق يوسف .

ثمّ قال : ومن سلفنا موسى ـ عليه السلام ـ حيث قال : هذا مِن عَمَل الشّيْطان [1] وقال : رَبِّ انّي ظَلَمتُ نَفْسى [2] . قلت : أما هذا كان معتزلياً صلباً ولقيت منه جهداً عظيماً ، لم تنفذلي فيه حيلة .

قال: ومن سلفنا أيوب ـ عليه السلام ـ حيث قال مَسّني الشّيطانُ بِنصب وَعذابٍ [3]، ويونس ـ عليه السلام ـ حيث قال: انّي كُنْتُ مِنَ الظالمين [4]، وسائر الانبياء حيث دعوا الى توحيد الله ونهوا عن مخالفة أمر الله ولم يعذروا أحداً ولم يضيفوا الذنب اليه .

قال : ومن سلفنا الخلفاء الاربعة وسائر المهاجرين والانصار . وخطب علي ـ عليه السلام ـ مشحونة بالعدل والتوحيد . ثم من التابعين كالحسن [5] وقتادة [6] بالبصرة ، وأصحاب علي ـ عليه السلام ـ وعبد الله [7] بالكوفة ،

---

١. سورة القصص (٢٨) : ١٥ .

٢. نفس السورة : ١٦ .

٣. سورة ص (٣٨) : ٤١ .

٤. سورة الانبياء (٢١) : ٨٧ .

٥. هو الحسن بن يسار البصرى ، من فقهاء التابعين ومن مشاهير الزهاد ، توفى سنة ١١٠ .

٦. مضى ذكره .

٧. أى عبد الله بن مسعود الهذلى الصحابى ، المتوفى سنه ٣٢ .

ومكحول [1] وغيلان [2] بالشام ، وكأهل الحرمين بالحجاز . ومن سلفنا أولاد رسول الله من ولد الحسن والحسين . ومن سلفنا شيوخنا المتكلمون كأبى الهذيل[3] وبشر [4] والنظام[5] وأبي موسى [6] وغيرهم ، ومن الفقهاء كأبي شجاع وزفر [7] ومحمد بن الحسن [8] والشافعي [9] وأمثالهم ، ومن الخلفاء كالمأمون والمعتصم [10] والواثق . ومن خلفنا كأبي علي [11] وأبي هاشم [12] وأبي عبد الله [13] وقاضي القضاة [14] والسادات من العلوية وفي عد جماعتهم تطويل. فهذا ما عندنا فهاتوا ما عندكم .

---

١. هو أبوعبدالله مكحول بن شهراب الهذلى الشامي، فقيه الشام فى عصره . توفى سنة ١١٢ .

٢ – ٦ . مضى ذكرهم .

٧. هو ابوالهذيل زفر بن الهذيل العنبرى الاصبهانى ، الفقيه ، من أصحاب أبى حنيفة . ولى قضاء البصرة وبها توفى سنة ١٥٨ .

٨. هو محمد بن الحسن الشيبانى الكوفى ، الفقيه ، من أصحاب أبى حنيفة . ولى قضاء الرقة وتوفى بالرى سنة ١٨٩ .

٩. هو محمد بن ادريس المطلبى . امام المذهب . المتوفى سنة ٢٠٤ .

١٠. هو محمد بن هارون الرشيد ، ثامن الخلفاء العباسيين . بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المأمون سنة ٢١٨ . ومات سنة ٢٢٨ .

١١. هو محمد بن عبد الوهاب الجبائى ، من أئمة المعتزلة . توفى سنة ٣٠٣ .

١٢. هو عبد السلام بن محمد الجبائى ، من شيوخ المعتزلة ، واليه تنسب الفرقة البهشمية منهم . مات سنة ٣٢١ .

١٣. هو الحسين بن على بن ابراهيم الكاغذى البصرى الملقب بالجعل ، من كبار المعتزلة . توفى سنة ٣٦٩ .

١٤. هو القاضى عبد الجبار بن أحمد الاسد آبادى الهمدانى ، شيخ المعتزلة فى عصره . ولى قضاء الرى وبها مات سنة ٤١٥ .

فقال رجل من المجبرة : بلى سلفنا أهل السنة .

فوثب المعتزلي وقال : أسكت ! أعدُّ رجالك . أولهم الشيخ النجدي [١] الذى ورك الذنب ربه ، والثاني مشركوا قريش أحالوا الشرك على مشيته ، ثم معاوية ويزيد وبنو سفيان ، ثم من بعدهم بنو مروان الشجرة الملعونة فى القرآن . وان شئت من المتكلمين فخذ اليك حفص القرد وبرغوث [٢] وضرار [٣] ويحيى بن كامل [٤] والقلانسي [٥] ومن الخلف ابن كلاب [٦] وابن أبي بشر [٧] وابن كرام [٨] . فهل يقابل هؤلاء بأولئك السادات ؟ وأنشد :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم   مثل النجوم التى يسري بها الساري [٩]

---

١. يعنى الشيطان .

٢. هو محمد بن عيسى برغوث . عده الشهرستانى فى عداد المجبرة وقال أن مذهبه قريب من مذهب الحسين بن محمد النجار (الملل : ١٤١ . وراجع أيضاً قسم المعتزلة من مقالات الاسلاميين لابى القاسم البلخى : ٧٥) .

٣. هو ضرار بن عمرو الغطفانى . كان من المعتزلة ثم خالفهم وكتب فى الرد عليهم . مات فى أواخر المائة الثانية .

٤. مضى ذكره .

٥. فى الاصل : القلانى . وهو أبو العباس القلانسى ، الماضى ذكره .

٦. مضى ذكره .

٧. هو أبو الحسن الاشعرى . رئيس المذهب . الماضى ذكره . وكان يلقب با بن أبى بشر كما فى الفهرست لابن النديم : ١٨١ (من طبعة فلوجل) .

٨. هو محمد بن كرام . رئيس الكرامية . الماضى ذكره .

٩. يروى البيت للعرندس فى أمالى القالى ١ : ٢٣٩ ومعجم الشعراء للمرزبانى : ٣٠٦ (القاهرة – ١٣٥٤) وزهر الاداب للحصرى ٢ : ٩٥٨ وغيرها ، ولعبيد ابن العرندس فى الكامل للمبرد ١ : ٧٨ (القاهرة – ١٣٧٦) والتنبيه لابى عبيد البكرى : ٧٣ ، ولزهير فى قواعد الشعر لثعلب : ٤٧ (القاهرة – ١٩٦٦) .

فقام معتزلي من الجن وقال : أمـا سلفنا فحضروا رسول الله وأخـذوا منه دين الله ولم يضيفوا ذنباً الى الله ، بل ردوا علـى المجبرة قولهم حيث قالوا : «وانـّه كانَ يـَقـُولُ سـَفيهـُنا عـَلـَى الله شطـَطاً ، وانـّا ظـَنـَنـّا أن لن تـَقـُول الانـْسُ والجـِنّ على الله كـَذِباً .» [1] ثم أخذ يطري مذهبه ويزري بمذهبنا . فقلت لمشايخنا : أما فيكم مجيب ؟ أمافيكم معين ؟ أما أحد يقوم مقاماً فيذب عن مذهبه ؟ فما أجاب أحد جواباً .

فقرأ قارىء : « سـَيـَقـُولُ الـّذين أشرَكـُوا لـَو شاءَ اللهُ ما أشركنا »[2] .

فقال بعض مشايخنا : من هؤلاء الذين قالوا بمقالتنا وأضيف اليهم الشرك ؟ فقال المعتزلي : أولئك كفار قريش أعـداء رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ومنكروا دين الله . فغضبت وقلت : أولئك الملأ من قريش

بدور الدجى وشموس الضحى أسود الوغى وبحور الندى

كم من مجلس جمعني واياهم ، وكم من تدبير جرى بيني وبينهم . كانوا كما قيل :

وسادة عاشرتهم لم أزل في ظل عيش بهم رغد

وكان أخص القوم بـي أبو الحكم [3] ، سيد مـن أخلصني وده وخير من أخلصته ودي . ومشايخي حولي يبكون والمعتزلة يسخرون ويلعنون !

---

١. سورة الجن (٧٢) : ٤ ـ ٥ .

٢. سورة الانعام (٦) : ١٤٨ .

٣. يعني أباجهل ـ عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي ، أشد الناس عداوة للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والذى قتل فى غزوة بدر (سنة ٢) .

الباب الرابع عشر

فى المقامات والحكايات

اجتمعت وجماعة من مشايخنا من الجن في مجلس معتزلي من الجن عقد مجلساً في يوم عاشوراء ، فذكر الحسين وقتله وأبكى وبكى . ثم قال : لعن الله الامر والباعث والحاشر والمباشر والمزين والذاب . وارتفعت الضجة بآمين رب العالمين ! فقلت : من هؤلاء الذين لعنتم ؟ قال : أما الامر فيزيد اللعين ، وأما الباعث فابن زياد الخبيث [1] ، وأما الحاشر الذي جمع الجنود وذهب به عمر بن سعد [2] ، وأما المباشر فشمر [3] ، وأما المزين فأنت وأتباعك من الشياطين ، وأما الذاب فالمجبرة حيث ذبوا عن هؤلاء واعتذروا لهم وحملوا الذنب على الله تعالى . وأخذ يلعنني .

فقال أصحابنا : أتنظرون وهذا الخبيث يواجه شيخكم بمثل هذا الكلام واللعن ؟ أما فيكم ذاب ؟ أما فيكم دافع ؟ فقام واحد من مجبرة الجن وقال :

---

١. هو عبيد الله بن زياد بن أبيه ، أمير البصرة فى عهد معاوية ويزيد ، وهو الذى سير الجيش لقتال سيدنا الحسين ـ عليه السلام ـ . قتل فى من قتل من قتلة الحسين سنة ٦٧ .

٢. هو عمر بن سعد بن أبي‌وقاص ، أمير الجيش الذى قاتل سيدنا الحسين ـ عليه السلام ـ . قتل فى سنة ٦٦ .

٣. هو شمر بن ذى‌الجوشن الضبابى الكلابى، قاتل سيدنا الحسين ـ عليه‌السلام ـ . قتل فى سنة ٦٦ .

كذبت يا بن الفاعلة ! أنت وأصحابك من المعتزلة ، لاذنب لواحد من هذه الفئة ، أليس خلق الله الامر في يزيد والبعثة في ابن زياد والحشر في ابن سعد والقتل في شمر والتزين في الشيطان والذب عنهم في هؤلاء المشايخ ؟

فقال المعتزلي : كذبت أنت على الله والله منـه بريء ، والذنب لهؤلاء الملاعين لا لرب العالمين ! فكان يقول هذا له : كذبت ! و يقول هو لهذا : كذبت ! فقال المعتزلي: هب أنا كذبنا ، فالكذب على ابن زياد خير من الكذب على رب العباد . فقلت : ما حملك يا معتزلي على ما واجهتني به ؟ فقال : قوله تعالى : : « انَّ الَّذينَ يَكتُمُونَ ما أنزَلنا مِنَ البَيِّنات وَالهُدى » ـ الاية [١] ، وقوله : « وَاذ أخذ ميثاقَ الَّذينَ اُوتوا الكِتابَ لَتُبيِّننّه للناس وَلاتَكتُمُونَهُ » [٢] . وارتفعت الضجة ، وأنشأ يقول :

سيعلمون اذا الميزان بينهم   أهم جنوها أم الرحمن جانيها [٣]

وكثر المقال ، وأدى ذلك الى القتال ، وتفرقنا ونحن على سوء حال !

حكاية ـ عقد شيخ من مشايخ المجبرة من الجن مجلساً وحضرته ، فقرأ قارىء : « وَما يُؤمِنُ أكثَرهُم بِالله الا وهُم مُشركون » [٤] ، وقال قاص: المعني بهذه الاية هم المعتزلة ، لانهم آمنوا بالله ثم اشركوا حيث جعلوا للعباد فعلا كما أثبتوا له فعلا ، وأثبتوا لهم ارادة كما أثبتوا له ارادة . فقام معتزلي من غمار الناس فقال : كذبت ! بل المعني بذلك المجبرة القدرية الذين كذبوا على

---

١. سورة البقرة (٢) : ١٥٩ .

٢. سورة آل عمران (٣) : ١٨٧ .

٣. البيت لعمرو بن فائد المعتزلى ، الماضى ذكره ، على مافى المنية والامل لابن المرتضى : ١٥٩ (بيروت ـ ١٩٧٩) ، وفيه وفى غيره من المصادر (كمتشابه القرآن لابن شهرآشوب : ١٢٠) : « اذا الميزان شال بهم » .

الله ووصفوه بما لايليق به وأشركوا معه في صفاته ونقضوا جملة ما أقروا . قلت له : ولم قلت ذلك ؟ بيـّن دعواك ببرهان . فالتفت الي ّ وقال : نعم ! من وجوه جمة وضروب كثيرة ، فانهم ما أقروا بجملة الا ونقضوه بالتفصيل ، وما اعترفوا بأمر الا أبطلوه عند التحصيل ، فخذ اليك مسألة مسألة :

أولا قالوا: انه واحد، ثم أثبتوا معه قدماء أشركو هم معه فى القدم ، فنقضوا الاول والتحقوا بالثنوية .

وقالوا : ليس له مثل وشبه ، ثم قالوا له وجه ويد وجنب وساق ، فنقضوا ما أسسوا .

وقالوا : لايشبهه شيء وليس له كيف ، ثم قالوا يرى كما يرى المحدثات ، ورووا أنه يرى كما يرى القمر ليلة البدر ، وهل تشبيه أعظم من هذا ؟

وقالوا : انه صادق ، ثم قالوا كل كذب منه وانه يجوز أن يخلف وعيده .

وقالوا : انه حكيم ، ثم قالوا كل سفه وقبيح فمن قبله ومن خلقه وارادته وقضائه وقدره .

وقالوا : انه عدل ، ثـم قالوا يعذب من غير ذنب ويأخذ واحداً بذنب آخر بل يخلق للنار ويعذب من غير جرم ويعذب على ما خلقه فيهم وأراده منهم .

وقالوا : الطاعة واجبة والمعصية حرام، ثم قالوا لاجزاء على واحد منهما .

وقالوا : الوعد والوعيد حق ، ثـم قالوا يجوز أن يعذب البررة ويثيب الفجرة ويدخل الانبياء النار والفراعنة دار القرار .

وقالوا: الانبياء حجج الله ورسله ،ثم قالوا يجوز عليهم الكذب والكبائر.

فما أتوا جملة الانقضوها ولاكلمة الا أبطلوها . ثم قالوا : الفعل خلق الله وكسب للعبد ، ولا يصح حصول الكسب الا بخلق الله ولاخلق لله الا بكسب

العبد ، وهذا عين الشرك كما الكين لايمكن لاحدهما التصرف الا مع الأخر ووصيين ووكيلين .

فأما نحن نقول : انه تعالى القادر على ما لايتناهى من المقدورات ، فاذا أقدر عبده على شيء قدر والا فلا، فمثلنا معه كمثل ملك وسائس ان أعطاه شيئاً أخذه والا فلا ، فهل يقال انه شريكه في ملكه بذلك ؟ ثم ما قررنا أصلا الا وافقناه بين جمله وتفصيله ، ما نقض كلامنا بعضه ولا أبطل بعض أصولنا بعضها .

فنحن المؤمنون حقاً وأنتم كما قال الله : « وَما يُؤمِنُ أكثَرُهُم بِاللهِ وَهُم مُشرِكُونَ » [1] . فما أجاب أحد جواباً .

حكاية - جرى يوماً حديث البدر، فقلت: أنا شاهدتها وحضرتها مع الملأ من قريش أشجعهم وأمنيهم وأنصرهم بجنودي من الشياطين ، فلما رأيت الملائكة تنزل من السماء علمت أن لاطاقة لنا ، فهربت وأنشدت :

وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت بها يدي [2]

فقال بعض المعتزلة : فيك نزل: « وَاذ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيطانُ أعمالَهُم - الى قوله - نَكَصَ عَلى عَقِبَيهِ » [3] . لاجرم فيك ومن اتبعك نزل : « فَكانَ عاقِبَتَهُما أنَّهُما فِي النّارِ خالِدينَ فيها » [4] . وجرت بين المعتزلة والمجبرة مناظرات كنتم ذابين عني ، فشكرت لكم ذلك .

---

١. سورة يوسف (١٢) : ١٠٦ .

٢. البيت لحيان بن الحكم الفرار السلمى فى الحماسة لابى تمام ١ : ١١٠ (من طبعة الرياض - ١٤٠٢) ، والعقد الفريد ١ : ١٣٩ ، والحيوان ٥ : ١٨٥ ، وعيون الاخبار ١ : ١٦٤ وغيرها .

٣. سورة الانفال (٨) : ٤٨ .

٤. سورة الحشر (٥٩) : ١٧ .

ثم جرى حديث أحد فقلت : حضرتها مع شيخنا أبي سفيان وامرأته هند وابنه معاوية وجماعة جنوده، وكنت أفعل الافاعيل حتى جرى ما جرى وناديت: قتل محمد حتى انهزم الناس . فلما أمد بالملائكة وتراجع الناس صعدت مع شيخنا أبـي سفيان الجبل وصحنا : أعل هبل يوم بيوم بـبدر ، فقام عمر وقال : بعداً لكم الله أعلى وأجل ولاسواء ، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار . وقصدني وعلمت أني لاطاقة لي بعمر فهربت ، وكنت لاأفر من أحد فراري من عمر ، وأنشد :

ولقد أجمع رجلى بها حذر الموت واني لفرور [1]

حكاية ـ اجتمعت في ناد مع جماعة من الجن ، فقال بعض مجبرة الجن: أستغفر الله من ذنوبي ! فقال معتزلي من الجن : تستغفر من ذنب جنيته أو ذنب لـم تجنه ؟ وأي فرق بينك [وبين من] قال : أستغفر الله من سوادي وبياضي ، وهما عندك جميعاً من خلقه ؟ فانقطع .

فقرأ قارىء : «إِنَّ عِبادى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِم سُلْطان»[2]. فقلت:من هذا الذي لاسلطان لي عليه؟ فقال: من لايتبعك ولايلتفت الى كلامك ولايوافقك في عقيدتك ، بل يلعنك ويعاديك ويلعن أتباعك وأشياعك ، وينزه الله ويقول بالتوحيد والعدل . قلت : من أنت ؟ قال ، أنا العدلي الموحد لربه المعترف على نفسه بذنبه . ثم أنشد :

قال فما اخترت من دين تفوز به

فقلت اني شيعي ومعتزلي [3]

---

١. البيت لعمرو بن معد يكرب ،وهو في ديوانه المطبوع : ١٠٢ .

٢. سورة الحجر (١٥) : ٤٢ .

٣. البيت للصاحب بن عباد ، وهو في ديوانه : ٣٩ .

وأنشد :

اذا بعثت لقيت الله مبتهلا

معي امامان من عدل وتوحيد

هذان أصلان ضل الناس بينهما

الا المجرد فيه أي تجريد [1]

وجرى ذكر السجود لادم ، فأخذ المعتزلة يلعنونني ويسبونني . قلت : أما من ذاب ؟ فقالت المجبرة : الى متى هذا اللوم ؟ لو خلي الشيخ لسجد ولكن منع . فقال معتزلي : تبأ لكم ، أتذبون عن الشيطان وتكذبون على الرحمن ؟ وارتفعت الاصوات وكثرت المباهلة بين الفريقين وتفرقوا ، والمعتزلي ينشد :

الله يعلم أني لاأحبكم ولانلومكم أن لاتحبونا

فقلت لمشايخنا : أنتم أصدقائي حقاً ، لولاكم لذهب أمري هدراً !

حكاية ـ قلت لاصحابي من مجبرة الجن : لاطاقة لنا بهؤلاء المعتزلة ، فالصواب ما فعله قريش بمحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وأصحابه في حصار الشعب ، فبايعنا أن لانكلمهم ولاندخل عليهم ولانبايعهم وتحالفنا على ذلك . وقام معتزلي فقال : أرأيتم لو خلق فيكم كلامنا والدخول علينا ومبايعتنا

---

١. يشبه شعر الصاحب وليس في ديوانه ، كما ليس فيه الابيات الثلاثة التي رواها له ابن فندق في كتابه تاريخ بيهق: ١٣٥ في مدح آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ولا الابيات الاربعة التي رواها له المافروخي (ترجمة محاسن اصفهان للاوى : ١٤ ، والابيات ساقطة من الاصل العربي طبعة طهران ـ ١٩٣٣) في مدح اصفهان ، ولا الابيات الكثيرة التي رواها له ابن شهرآشوب في كتابه متشابه القرآن : ٦١ ، ٩٣ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٤٢ ، ١٤٦ و ١٦٧ في دعم أصول العدلية ورد المجبرة .

ومخالطتنا أتقدرون على الامتناع ؟ فقلت لاصحابي : اسكتوا ولا تجيبوهم تفتضحوا ! فقام يجر رداءه وينشد :

وما بقيا علي تركتماني ولكن خفتما صرد النبال [1]

حكاية ـ وقعت مسألة ، وهي أن واحداً حلف بأن مايملكه من ماله صدقة وما يملكه من عبيده أحرار ومايملكه من نسائه طوالق ، ثم ندم ، فسأل عنها فقهاء المعتزله فقالوا: مالك صدقة وعبيدك أحرار ونساؤك طوالق. فقال شيخ من شيوخ المجبرة : أخطأ الفتوى وما أصابك ، است تملك شيئاً ، لانك ان قلت مع الله فقد أشركت وان قلت من دونه كفرت . فقال المعتزلي : يا أحمق ! انما يملك ما ملكه الله ولايملك شيئاً من دون الله . وضج الناس وقالوا للجبري : أخطأت! مالك والفتوى ؟ .

* * *

وروى بعضهم عن النبى ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ : لعن الله المنفرين ورحم الله المكلفين . فقال بعضهم تفسيراً للخبر : المنفر من أيس من رحمة الله ، والمكلف من لم يؤيس عباده من رحمته . فقام معتزلي وقال : نحن المكلفون والمجبرة هم المنفرون ، لأنا نصف الله بكل رحمة ورأفه وثناء حسن وهم يذكرونه بكل قبيح وبالظلم فينفرون عنه . وارتفعت الضجة وتفرقوا .

وقرأ قارئ : « فَفِرّوا إلى اللهِ » [2]، فقال المعتزلي : على مذهبنا الفرار اليه يجب وعلى مذهب المجبرة الفرار عنه يجب، لان عندنا كل خير فمنه وكل

---

١. البيت لمنازل بن ربيعة ، اللعين المنقرى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٤٩٩ (بتحقيق احمد محمد شاكر ، القاهرة ـ ١٩٦٦) ولسان العرب ٤ : ٢٣٦ .

٢. سورة الذاريات (٥١) : ٥٠ .

شر فهو منه بريء ، وعند المجبرة كل شر في العالم فمن جهته فيجب الفرار عنه . فغضبت المجبرة وقالوا : الى كم هـذا الازراء ؟ اما أن تجيبوه واما أن تخرجوه ! فقام المعتزلي وقال : تعالوا ننتصف ! أصف مذهبي ومذهبكم حتى يتبين أينا على الحق . ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله وأهل بيته وأصحابه ، ثم ذكّرهم نعم الله تعالى على عباده دنياً وديناً وحثهم على شكره ووعظهم وذكّرهم مامضى من المثلات وما أوعد به ووعد .

ثم قال : أيها الناس ! ان المجبرة حزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهود الزور ، وأن العدلية حزب الله وأتباع رسول الله وحفاظ دين الله والذابون عن حريم الله ، فان المجبره تزعم أن كل فساد في العالم فمن الله وكل شر فمن خلقه وقضائه وارادته ومشيته ، فالتحرز والفرار منه يجب لان الشر منه ، والعدلية تقول كل خير ورحمة فمنه فيجب الفرارا ليه .

وتفصيل هذه الجمله أنهم قالوا : خلق الكفر في الكافر ثم أمر بقتله ، ولولا خلقه لما كان في العالم كفر ، واذا كان ذلك خلقه فما معنى المحاربة والسلاح ؟ أيريد أحد ابطال خلقه أم القتال معه في جعله ؟ ثم لم يدع مع هـذا أن خلق فيهم الكفر ، ثم أمر بسبيهم وقتلهم ، ثـم أوعدهم عذاب النار خالداً مخلداً . فيحتجون للكفار والفجار ويحملون الذنب على الملك الجبار ونحن نقول : هم الفاعلون وهم المذنبون ، واستحقوا نكال الدنيا وعقاب الاخرى بسوء افعالهم ومقالهم .

وقالوا : هـو الذي يجيء بالزاني الى دار المزني بها ويخلق فيهما الزنا ، ولولا خلقه لما كان في الدنيا زنا ، فما بال الحيطان والحراس يتحرس من خلقه وقضائه ؟ وما معنى النهي والجلد ؟ أيقدرون على الامتناع من حكمه وفعله ؟ وكيف يخلق الزنا ثم يأمر برجمه ويوعد بالعذاب الابد على فعله ؟

وقالوا : ثـم جاء بالسارق الى دورهم ويخلق فيه تسنم قصورهم وأخذ أموالهم لايقدر على الامتناع ، ولولا خلقه لما كان فى الدنيا سرقة ، ثـم يأمر بقطعه . أهكذا فعل حكيم ؟

وقالوا: يخلق الغصب فى الغاصب ثم يأمر باسترداده منه ، ولولا خلقه لكان الاسترداد مستغنى عنه ، ثم أخذ فى لعنه لم كان ؟ ولو لاخلقه لما كان فى الدنيا غصب .

وقالوا : خلق فيه أخذ مال الغير وخلق فيه اليمين الغموس ، ثـم أوعده بأن يدع الديار بلاقع وأنها من الكبائر ، ولولا خلقه لما كان فى العالم يمين غموس .

وقالوا : يخلق القتل فى القاتل ثم يأمر بالقصاص ، ولولا خلقه لما كان فى العالم قتل ولا احتيج الى القصاص .

وقالوا : خلق الكفر فى الكافر والشرك فى المشرك ثم أمر رسوله بأن يرده عنه ، ولولا خلقه لما كان شرك .

وقالوا: لاضرر ولاظلم ولاشرّ فى العالم الا وهو من خلقه وقضائه وارادته، فمن كان بهذه الصفة أليس يجب الهرب منه والاعراض عنه ؟

وقالوا : ليس للشيطان فى الوسوسة صنع ولاللعباد فى الذنوب فعل بل كله من خلقه ومن جهته ، فأي قوم أشد محاربة له منهم وأسوء ثناء عليه منهم؟

ثم ان هؤلاء المجبرة ان أقروا به باللسان وحمدوا ظاهراً فقلوبهم منطوية على بغضه ، لانهم اتهموه حيث قالوا : لايأمن أحد شره وان عبده ألف سنة ، لعله للنار خلقه وللكفر فطره ويسلبه في آخر عمره الايمان ويدخله النيران . فاذا قالوا لعن الله من سرق وزنى وظلم وعتا، فاياه عنوا وعليه دعوا، لان عندهم أن ذلك كله منه وهو الذى أوجده ثم يحتجون للعصاة بأنهم من جهته أتوا ، ولو

قدروا لاطاعوا ، وأنهم للعصيان خلقوا، وأي ذنب لابليس وهو منعه من السجود؟ وأي ذنب لفرعون وهو خلق فيه « أنا ربّكُمُ الاعلىٰ » وكره أن يقول « سبحان ربّي الاعلىٰ » ؟ وأي ذنب لنمرود وهو خلق فيه الكفر والعصيان ؟ وأي مدح لابراهيم وهو خلق فيه الايمان؟ ثم كذبوا حيث جاؤوا يذكّرونهم نعم الله وقالوا: لانعمة لله عليهم لانه خلقهم للكفر والنار .

وكذبوا الرسل حيث دعوهم الى الايمان ونهوهم عن الكفران والقوم قالوا : قلوبنا غلف ولانقدر على ذلك ، والمجبرة تشهد لهم بالصدق ولاقوالهم بالحق رداً على رسول الله .

واحتجوا لابليس بما لايحتج لنفسه ، فانه قال: لاتلوموني ولوموا أنفسكم حيث قبلتم مني ولم تقبلوا من خلقكم ، وهم يقولون : لاتلوموني ولاتلوموا أنفسكم ولكن لوموا خالقكم حيث خلق في ابليس الوسوسة وخلق فيكم المعصية .

وقالوا : انه يعذب بغير ذنب ويعاقب بغير جريمة .

ثم أضافوا الى الرسل كل قبيح ووصفوهم بما لايليق بهم ، تنفيراً المعقلاء عنهم وعن طريقتهم .

ثم دانوا ببغض أهل بيت نبيكم واعتقدوا موالاة أعدائهم .

ثم أبطلوا الرسل والكتب والامر بالمعروف ، بأن قالوا : لايجدي ذلك شيئاً ، ان كان من قبضة أهل النار فلا ينفعه شيء وان كان من قبضة أهل الجنة فلاينفعه شيء . وقالوا للامرين بالمعروف : أتنقضون ما خلق الله أم تدفعون ما قدر الله ؟ أتدعون الى شيء ليس اليهم من ذلك قليل ولاكثير ؟ فأي قوم أسوء ثناء على الله منهم ؟ ويقولون : الغوث مما فعل ربنا ونعوذ مما قضى فينا ونسأله البعد من مشيته لنا . فتباً لهم ! ضلوا وأضلوا .

فانظروا رحمكم الله الى هذه المذاهب الردية ثم انظروا الى مذاهب العدلية حيث قالوا : انه تعالى واحد لاشبه له ولانظير له وانه هو الحي المتفرد في ملكه المتوحد في سلطانه القادر العالم لذاته لايحتاج الى علّة به يعلم ويقدر ، وانه السميع البصير [من غير حاجة] الى طبيعة بها تحيى ولاسمع ولابصر به يدرك . ويقولون : انه لايرى ولايسمع ، وليس له مكان، ولايجوز عليه صفات الاجسام . وانه عدل فى أفعاله صادق في أقواله ، لايفعل القبيح ولايشاؤه ولايقضيه ، بل هو فعل العباد وانهم أحدثوه . وانه كلفهم رحمة منه فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عاقبه ، لايأخذ أحداً بذنب أحد ولايعاقبه بغير جريمة ، وأعطى المقدرة وأزاح العلة ، فمن عصاه فمن قبل نفسه أتي ومن أطاعه فبدلالته وتوفيقه وبهدايته اهتدى. وانه وعد وأوعد ووفى بكل ذلك، لايجوز عليه الخلف، مايبدل القول لديه وما هو بظلام للعبيد [1]. وانه بعث الانبياء حجة على خلقه ونزههم عما لايليق بهم من مخالفته ، وأمر بالشرائع مصلحة لعباده وأقام الائمة تطهيراً لبلاده . « فله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون بما كانوا يعملون»[2]. ووصفوه بما وصف به نفسه من الرأفة والرحمة ، ونزهوه عما نزه نفسه عنه من القبائح ، وحببوه الى خلقه بذكر نعمه ، وشكروه على ما أسدى اليه من كرمه. فتوازروا في دين الله ، وتحابوا في أمر الله ، وذروا هؤلاء المجبرة فانهم اعداء الله وأعداء رسول الله ، ونزل . فتفرق الناس وهم يلعنون المجبرة .

وسأل عدلي مجبراً : أليس بعث الله يحيى الى قومه ؟ قال : نعم . قال : أليس خلق فتكه فيهم ؟ قال : نعم . قال : فهل هذا فعل حكيم ؟ قال : لا .

---

١. مأخوذ من قوله تعالى فى سورة ق (٥٠) : ٢٩ « مـا يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » .

٢. سورة الاعراف (٧) : ١٨٠ .

قال : فلم تقول به ؟ قال : دين الاباء .

وسأل آخر : أليس جعل الله الماء رزقاً للعباد ؟ قال : نعم . قال : أفعاقبهم بأخذه ؟ قال : لا . قال : أليس جعل الغصب رزقاً للغاصب ؟ قال : بلى . قال : أفعاقبه عليه ؟ قال : نعم . قال : ولم وقد استويا ؟

ومات مجبر وكان ناسكاً بالبصرة ، فرئي في المنام وقيل له : مافعل ربّك بك ؟ فقال : لاينفع مع هذا القول عمل .

وحكي عن المبرد [1] قال : كان جيراننا كلهم جبرية غير رجلين يقولان بالعدل ، فسافر أحدهما ومرض الاخر فعدناه ، فقال : رأيت النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ في المنام ، وكان صاحبي الغائب معي ، فأخذ النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بيدي ويده ، ثم قال: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» [2] .

فقلنا خيراً رأيت . فمات من يومه ، وصح عندنا أن صاحبه الغائب مات في ذلك اليوم .

وقال مجبر لعدلي : جئت اليوم دارك فلم أجدك في الدار . قال : أنت جئت أم الله جاء بك ؟ قال : بلى جاء بي. قال : أوعلم أني لست في الدار ؟ قال : نعم . قال : فاذاً سخر بك !

---

١. هو أبو العباس محمد بن يزيد الثمالي الازدي ، امام العربية في زمانه وأحد أئمة الادب والاخبار . ولد بالبصرة ومات ببغداد سنة ٢٨٦ .

٢. سورة الذاريات (٥١) : ٣٦ .

الباب الخامس عشر

فى ذكر المذاهب

حضرت مجلساً حضره جماعة من المعتزلة والمجبرة وجرى ذكر المذاهب. فقال رجل من المعتزلة : كل مذهب سوى مذهب أهل العدل مضمحل وكل كلام سوى كلامهم فهو داحض . فرمقوه بأبصارهم وقالوا : لم قلت ؟ قال : النحل على ضربين : قوم خارج الاسلام كالدهرية والثنوية وعباد الأوثان والصابئين واليهود والنصارى، فهم خارجون عن الملة مباينون للنحلة ، أجمعوا على تكفيرهم ونطق الكتاب والسنة بتضليلهم . والفرقة الثانية المنتحلون للاسلام الذابون عنه وهم فرق الخوارج والنجارية والاشعرية والكراميةوالرافضة، وهم أهل البدع . لم يبق الا واحد وهم المعتزلة أصل الحق والدين . ولهذا قال النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - : ستفترق أمتي بضعاً وسبعين فرقة أبرها وأتقاها الفئة المعتزلة، وقال - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فى الاولين بعد أن ذكر أهل البدع: الراد عليهم كالشاهر سيفه فى سبيل الله . فنحن القائمون بدين الله ، الذابون عن حريم الله ، الحافظون لحدود الله ، المجاهدون فى سبيل الله ، الناصرون لاهل بيت رسول الله ، الخارجون مع من خرج من أولاد رسول الله ، الرادون على من كذب على الله وعلى رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - وأصحابه . أما علمت مشايخنا كيف قاموا المواقف

وكيف ردوا على أهل الاهواء والضلال . فرحم الله سلفهم وخلفهم وألحقهم بنبيهم ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ .

فقلت : يامعشر الاصحاب ! أما من راد ؟

فقام شيخ وقال : لم أبطلت هذه المذاهب حتى صححت مذهبك وأطريت طريقك ؟ فقال: أبين مذهباً مذهباً وماهم فيه من الطرائق الردية والاقوال السيئة :

أما النجارية فان رئيسهم الحسين النجار ، وكان غرضه التلبيس والتدليس ولم يكن يرجع الى دين. فحدث أبو العباس بن محمد الهاشمي قال : كان النجار حائكاً في جوار بيت لنا . وقال أيضاً : قلت للنجار ويحك ! انك قلت في الاستطاعة مقالة لايقبلها العقل ، فقال : اني لاأعرف صحة هذه المقالة ولافساد قولكم ولكنني في قولي هذا رأس ومتى صرت الى قولكم صرت ذنباً فلا أفعل. فانظروا كيف اختار الدنيا على الاخرة . ومن قول النجار : ان معنى قولنا «عالم» أنه ليس بجاهل فقط ، ومعنى قولنا « قادر » أنه ليس بعاجز ، ومعنى قولنا «حي» أنه ليس بميت ، وليس هناك صفات . وهذا خروج من التوحيد . ومن جهله أنه قال : القرآن مكتوباً جسم ومتلواً عرض، وعنده يجوز بقاء الجسم ولايجوز بقاء العرض ، فيلزمه أن يكون القرآن باقياً وغير باق . وقال : الجسم أعراض مجتمعة . ويقول : ان الله في كل مكان بذاته لابمعنى الحلول والمجاورة ، وهذا غير معقول . ويقول : انه قادر لذاته عالم لذاته مريد لذاته . ثم يقول : مايصح أن يعلم يجب أن يعلم وما يصح أن يكون يجب أن يقدر عليه ، ثم لايقول مايصح أن يكون مراداً يجب أن يريده ، فقد ناقض . ويقول : الكافر يصح منه الايمان في حال الكفر ، وهذا تجويز لاجتماع الضدين. ويقول : قدرة الايمان تضاد قدرة الكفر ، فيستحيل من الكافر الايمان لوجود قدرة الكفر ، فقد ألزم الله المحال . ويقول : النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ والمؤمنون

لايستحقون الثواب دائماً والكفار لايستحقون العقاب دائماً . وهذا خلاف الاجماع والقرآن . وقال من هذا الجنس من المحالات مايطول به الكتاب . ومن كلامه الذي لايعقل القول بالبدل وأن قطب الرحى يتحرك ولاينتقل .

وأما الاشعرية والكلابية فأكثر كلامهم غير معقول . قالوا : عالم بعلم قادر بقدرة لاهو ولاغيره ولابعضه . وقالوا : هو مستو على العرش بمعنى صفة له تسمى الاستواء . وقالوا : المسموع ليس بكلامه وانما هو صفة تقوم بالذات . وقالوا : يرى الله لافي جهة ولافي كيف . وقالوا : فعل العبد خلق الله كسب له . فاذا سئلوا لم يأتوا بمعقول ، وانما فعلوا ذلك لان غرضهم كان هدم الدين . ومن قولهم أن مع الله قدماء تسعة ، وماأطلق أحد قبلهم ذلك .

ولقي بعض النصارى بعض الاشعرية فقال : مرحباً يا اخواننا ! نحن نقول ثالث ثلاثة وأنتم تقولون تاسع تسعة !

وحكى أبو العباس البصري [1] قال : دخلنا على نينون [2] النصراني فسألته عن ابن كلاب ، قال : رحمه الله ، كان يجيء ويجلس الي تلك الزاوية ـ وأشار الى زاوية من البيعة ـ وعني أخذ هذا القول ، ولو عاش لنصّرنا المسلمين .

ولما بعث عضد الدولة [3] الباقلاني [4] الى الروم رسولا ... [5] اياك ولك

---

١. فى الفهرست لابن النديم : ١٨٠ (من طبعة فلوجل): البغوى ، والقصة مذكورة فى هذا المصدر .

٢. فى الفهرست لابن النديم : فثيون .

٣. هو فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه الديلمى ، كبير الملوك البويهيين ، مات فى سنة ٣٧٢ .

٤. هو القاضى أبو بكر محمد بن الطيب البصرى ، من كبار المتكلمين . اليه انتهت الرياسة فى مذهب الاشاعرة . توفى سنة ٤٠٣ .

٥. هنا سقط فى الأصل .

مذهبك فانهم يلزمونك مذهبهم .

وقال: انه مسموع يدرك بسائر الحواس، وانه أسمع نفسه موسى، والكلابية أنكروا ذلك عليه . وزعم أن كلامه شيء واحد قائم بذاته لايسمع ولايدرك ، وأن القرآن والتوراة والانجيل ليست بكلام الله ، وأن هـذه الايات والسور مخلوقة. وزعم أنه تعالى يرضى بالكفر ويحبه. وزعم أنه كلف عباده ما لايطيقون، ولو كلف العاجز لجاز ، ولو كلف المحال والجمع بين الضدين لجاز . وزعم أنه لو عاقب الانبياء والابرار وأثاب الفراعنة والكفار لحسن عنه . وجوّز على الله تعالى الالغاز والتعمية ليضل عن الدين . وزعم أنه لانعمة لله على الكفار لانه خلقهم للنار، ورد بذلك نص القرآن في قوله تعالى: «يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا »[1]. وزعم أن القبيح يقبح للنهي والحسن يحسن للامر، فيلزمه أن لايحسن من الله شيء . وزعم أن أفعاله لاتكون لغرض . وزعم أن ما باين محل القدرة فعله تعالى ليس بكسب للعبد . وزعم أن الثواب والعقاب ليس بجزاء ، ولكن من شاء أثابه ومن شاء عاقبه . وزعم أن النبي ـ صلى الله عليه وعلى آله ـ ليس بنبي بعد موته . ولقد قيل : أربع لايعقل: طبع الطبايعية، وكسب الاشعرية ، وصفات الكلابية ، وبدل النجارية[2] .

وحدثني من أثق به أنه كان يصلي بغير طهور ، وأنه مر بمسجد والناس يصلون العصر ، فقلت : متى نصلي ؟ فقال : ان كنت تريد صحبتنا فدعنا عن هذه الترهات ! وباع درهماً بدرهمين وشيء مكسورة فقيل له : هذا ربا ، فقال : كن خفيف الروح ! .

---

١. سورة النحل (١٦) : ٨٣ .

٢. في الفصول المختارة للشيخ المفيد ٢ : ١١٥ ثلاثة أشياء لاتعقل اتحاد النصرانية وكسب النجارية وأحوال البهشمية .

ولقد أقر بالاسلام ولكن شرع في ابطاله فصلاً فصلاً . ووافق جماعة من الكفار في أقوالهم . ووافق جماعة من المجوس في أن من قدر على الخير لايقدر على الشر ومن قدر على الشر لم يقدر على الخير . ووافق اليهود بأن النبي ليس بنبي في قبره ، وأن النسخ لايجوز لان الكلام شيء واحد فكيف يجوز النسخ فيه . ووافق النصارى في أقوالهم ثالث ثلاثة أقانيم جوهر واحد وقد قال هو ثلاثة أشياء شيء واحد . ووافق الملحدة بأن ما يفعله المسلمون لاجزاء لهم عليه . وخالفه المعتزلي في ذلك ولزموا الطريقة المستقيمة .

وأما الكرامية فحماقاتهم أكثر من أن تحصى، وكان رئيسهم ابن كرام جاهلا وأصحابه جهلة . وزعموا أنه تعالى جسم . وقالوا : لايتناهى من خمس جهاته، ويتناهى من جهة العرش. وقالوا: انه نور مشرق، فوافقوا المانوية والديصانية[1] في ذلك. وقالوا : انه محل للحوادث فلايحدث فى العالم حدث الاويحدث قبله في ذاته شيء . وقالوا : كان الله في ما لم يزل خالقاً رازقاً بخالقوقيته ورازقوقيته، وانه كان فاعلاً لم يزل مثيباً معاقباً مرسلاً للأنبياء . وزعموا أنه تعالى لم يقدر على خلق العالم قبل وجوده . وقالوا : لله علم وقدرة وحياة وسمع وبصر ، وكل اسم له معنى فهو معنى غير قديم وهى أعراض قديمة .

وذهب بعضهم الى أن له يدين لايوصفان بجسم ولاعرض، وقائله يعرف بالمازلي .

وذكر ابن كرام في كتاب **عذاب القبر** أنه تعالى جوهر ، وقال : أحدي الذات وأحدي الجوهر، فخالف الامة بذلك . وجوز أن يكون لله كيفية ،وذكر كيفوفية الرب ، وهذا يدل على جهله .

---

١. فرقة من الثنوية أثبتوا للعالم أصلين نوراً وظلاماً ، لكن النور عندهم يفعل الخير قصداً واختياراً والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً .

وذكر في كتابه الملقب **بالتوحيد** « ان سألك انسان عـن طوله فقل ذِي الطَّـولِ لاَ إِلهَ إِلاَّ هُـوَ »[1] ! فلم يعرف الفرق بيـن الطـَول والطـُول . واستدل على أن له حداً بقوله : « قل هو الله أحد »[2] فقدر أن « أحد » مأخوذ من الحد . والعجب اتـّباع رجل بلغ هذا المبلغ في الجهل .

وكان فيهم رجـل يعرف بالشورميني ، نقض علـى أهل النحو قولهم : المبتداء رفع ، وقال ليس كذلك والله يقول : « وَالشَّـمْـسِ وَضُـحَاهَا »[3] ونقض على أصحاب الحساب وقال : يقولون ثلاثة ثلاثة تسعة ، أخطأوا فثلاثة قلانس في ثلاثة قلانس ستة ! .

وكان فيهم رجل يعرف بابن المهاجر ، قال : الاسم هو المسمى ، وكان يقول : الله عرض ، وكان يقول : انه ليس بقادر والقادر ليس بحي والعالم ليس بقادر ، وكان يثبت قدماء بعضها اله وبعضها حي وبعضها قادر وبعضها عالم .

وكلهم قالوا : ألله مماس العرش. وقالوا : هوفي ما يزل مريد بارادة حادثة لامحدثة . وقالـوا : القرآن ليس بكلام الله وانما هـو قوله حادث فيه وليس بمحدث ، ويفصلون بين الحادث والمحدث . ويقولون : الكلام قدرة على التكليم والتكلم . وقالوا : أحد لم يسمع كلام الله ، مع قوله تعالى : « حَتَّى يَسْـمَـعَ كَـلاَمَ اللهِ »[4] . وقالوا : ان كلامه حال في ذاته لم ينزل به جبريل ـ عليه السلام ـ . وقالوا : لايجوز أن يعدم عن ذاته شيء ويجوز أن يحدث في ذاته أشياء . وقالـوا : الاعراض كلها تبقى . ولهم فـي مذاهبهم أسرار شبيه

---

١. سورة غافر (٤٠) : ٣ .
٢. سورة الاخلاص (١١٢) : ١ .
٣. سورة الشمس (٩١) : ١ .
٤. سورة التوبة (٩) ٦ .

أسرار القرامطة لايظهرون ، منها أنهم جوّزوا أن يخرج من النار .

وكان فيهم رجل يقال له أبو يعقوب الجرجاني يقول : لله تعالى يدان هما جسمان وله وجه وجنب وساق وكل ذلك جسم . ومنهم من قال: الله أجسام ، فقدماه جسمان ووجهه جسم .

وقالوا: يجوز الكبائر والكذب على الانبياء . وقالوا : يجوز ظهور المعجز على غير الانبياء .

وكان يقول بعضهم : الترك لامعنى له ، فالله تعالى لايعاقب على قبيح وترك واجب ، وان كان يثيب على فعل الطاعات . وكان يقول : من استأجر أجيراً ليفعل شيئاً فلم يفعل لايعاقب ولكن يسقط الاجر ، وهذا ابطال للعقاب أصلا ، ويعرف هذا القائل بأبي جعفر .

وذكر ابن كرام بأنه تعالى ثقيل ، وفسر قوله: « إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ »[1] قال : من ثقل الرحمن .

وأثبتوا حوادث لامحدث لها ، لان عندهم الاحداث لامحدث لها . وهم أشد الناس بغضاً لامير المؤمنين، ويحبون معاوية ويقولون بامامته ، ولاتجد قوماً أشد بغضاً لاهل البيت منهم . وما يوردونها من الشبه أخذوها من كتب سائر الفرق ، خصوصاً من كتب ابن الراوندي[2] ، فانهم يحرصون على جمع كتبه غاية الحرص ، وذلك يدل على قلة دينهم . ويقولون : المنافق مؤمن ، وانّ ايمانه كايمان جبريل وميكائيل، فخالفوا القرآن والسنة والاجماع . وقالوا : عبادة الاصنام ليست بكفر وانما الكفر الجحود والانكار . وقد وافقوا أصناف

---

١. سورة الانشقاق (٨٤) : ١ .

٢. هو أبو الحسين أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى ، من المتكلمين ، كان من المعتزلة فخالفهم . نسب الى الالحاد . مات فى سنة ٢٩٨ .

الكفار في مذاهبهم، فوافقوا النصارى في أنه تعالى جوهر، ووافقوا ماني الثنوي في أنه نور، وزادوا على ماني فانهم قالوا : هومحل الحوادث، ووافقوا الدهرية في اثبات أعراض قديمة ، ووافقوا مشركي قريش العرب أن ما يسمع ويتلى ليس بكلام الله ، ووافقوا الكفار في جـواز الكذب على الانبياء . وحماقاتهم لاتسع كتابنا فمن أراد الوقوف فليقرأ كتاب شيخنا أبي رشيد فيهم .

وأما الخارجية فقد علمتم أن رسول الله حكم بمروقهم ، وأنهم في مذهبهم خالفوا المسلمين وخرجوا على أمير المؤمنين و كفروا جماعة المؤمنين وسفكوا دماء هم وهتكوا حريمهم .

وأما الرافضة فطعنوا في أصحاب رسول الله و كفروهم ، وجوزوا فى الدين الكتمان وفى القرآن الزيادة والنقصان ، وأبطلوا أكثر الحجج وحصلوا على ﴿سراب بقيعة يحسبه الظمآن﴾ ـ الاية ، [1] فهم يدعون الناس الى اتباع أهل بيت رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وهم منهم براء . وقد علمتم ما روي في بابهم عـن رسول الله : ان مرضوا فلا تعاودوهم فان مذهبهم يؤدي الى هدم الدين .

واذا بان لك ما ذكرنا علمت أن الحق بقي فينا معاشر العدلية ، نوحد الله ولا نشبهه ولا نضيف اليه القبايح، بل ننزهه ونحكم بعصمة الانبياء والمرسلين ، ونجعل العمدة اتباع الشريعة ، ونجمع بين محبة الصحابة وأهل البيت . فنحن القادة ونحـن السادة وسلفنا الصحابة والتابعـون وخلفنا الائمة المهتدون ، والحمد لله رب العالمين .

فما كان من مشايخنا من يجيبهم أو يورد عليهم .

---

١. سورة النور (٢٤) : ٣٩ .

الباب السادس عشر

فى القتال

اعلموا اخواني وساداتى أنه لما جرى بيننا مناظرات وجمعنا واياهم مقامات، عجزنا عـن المقال ودبرنا عليهم بالقتال ، وقلت لمشايخي مـن مجبرة الجن : لقد أدركت مالم تدركوه وشاهدت مالم تشاهدوه . ولقد شهدت مقاتلة الملائكة مع الجن حتى أسرت ولبثت فيهم مالبثت ، حتى خلق آدم [فأمرت] بالسجود فأبيت ، وأخرجت من الجنة الى الارض فهبطت ، وبيني وبين آدم وذريته من العداوة ماعلمتم ومن أمري وأمرهم مارويتم . ثم شهدت قتل هابيل وأنا أحرض قابيل على قتله، وشهدت نوحاً وأنا أمني ابنه ، وشهدت عاداً فدعوتهم فأجابوني وخالفوا رسولهم هوداً ووافقوني ، وشهدت [ثموداً] فاتبعوني ونمرود وأشياعه فقبلوا مني وأنا القنتهم : أقتلوا أبراهيم وحرقوه ، وشهدت فرعون اذجاءه موسى والعصا ، وكنت مع السحرة اذ جاؤوا بالسحر حتى آمنـوا بموسى ، وكنت مع اليهود اذ هموا بقتل عيسى ومع قوم زكريا اذ قتلوا يحيى ، وكنت القائل لاخوة يوسف : « ُاقتُـلـُوا ُيوسـُفَ أوِ اطـَرحـُوه ُأرضاً َيخلُ ُلكـُم َوجهُ أبيكـُم »[١] . وكنت مع مشركي قريش في مقاماتهم وأنديتهم الذين يدبرون في أمر محمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فشهدت دار الندوة حيث دبرنا في امره وأنا أحثهم على قتله ، وشهدت بدراً أحث الناس على قتاله ، وشهدت

---

١. سورة يوسف (١٢) : ٩ .

أحد أحتى فعلنا ما فعلنا برجاله ، وشهدت مسيلمة أعينه على قتال أبي بكر وأمنيه حتى قال : أنا من جملة النبيين ، وشهدت قتل عمر وأنا أحث على قتله على يد الفجار ، وشهدت وأنا أحث الناس على قتل عثمان يوم الدار ، وشهدت صفين وأنا في عسكر معاوية أدبر معه في أمـر علي وأزين له قتل عمار ، و جرى أمر النهروان وأنابين أظهرهم وأحثهم على قتال علي ـ عليه السلام ـ ، وشهدت كربلا مع عمر بن سعد ، وشهدت مقتل زيد وأنا في جملة هشام . ثم لم يكن موقف الاشهدتها ولاوقعة الاحضرتها . فخذوا عني ودعوا المقال وتأهبوا للقتال !

فسمعوا ، وبلغ الخبر معتزلة الجن فتأهبوا . فضممت الأطراف وجندت الجنود ، وكتبت الى أهل الوفاق في الافاق ، فأقبلت الاجناد كالجراد . فجاءني نواصب الشام ومشبهة آذربيجان ومجبرة اصفاهان ومرجئة كرمـان وخوارج سجستان وحنابلة هرا خراسان وقرامطة عمان ورافضة قم وقاشان، وانضم اليهم الاتباع الغاوون وجنود ابليس اجمعون .

واجتمعت المعتزلة عند رئيس لهم من جـّن نصيبين ، وهو عندهم بمنزلة المهاجرين بقية من حضر رسول الله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ومنه أخذ دين الله ، فتابعوه وعلى السمع والطاعة بايعوه . وكتب الى الافاق يستنفرهم الى الحجاز والعراق يخبرهم ، فحضر زيدية اليمن والحجاز وعدلية الاهواز ومعتزلة خراسان وشيعة طبرستان .

وتوافقنـا للقتال ، وسوينا الميمنة والميسرة والقلـب ، ووقفت فى القلب أرابط القلب في لجب الجيش ، وبين يدي رايـة سوداء وهى رايـة أبي سفيان تبركاً بشأنه . وسووا الصفوف وفيهم راية بيضاء راية علي ، تيمناً به وبأمره . وسوينا الصفوف وأشرعنا الرماح والسيوف. وهم مرة يتلون : « ان يَنصـُركـُم اللهُ فـلا غالبَ لكـُم وان يـَخـذلـُكـُم فـمـَن ذا الـذّي يَنصـُركـُم مـِن

بعده »[1]، ومرة : «قاتِلُوا الذَّين لا يُؤمِنُونَ باللهِ ولا باليومِ الآخِرِ»[2]، ومرة : « فَقاتِلُوا أئِمةَ الكُفر »[3] و « كَم مِن فئةٍ قليلةٍ غلبت فئةً كثيرةً باذنِ اللهِ »[4]. وكبّروا تكبيرة بلغت القلوب الحناجر وكلت الاسنة والخناجر وتزلزلت الاقدام ونكست الاعلام ، وكبّروا ثانية فانهزم الرجال والفرسان ولحقوا بالاودية والغيران ، لايلوي أولهم على آخرهم ولايقف كبيرهم لصغيرهم .

وبقيت فريداً وحيداً ، أصيح بهم وأنادى : هاأنا ! الي الي ! ماهذا الفشل؟ لايبالون بسبالي ولايلتفتون الى مقالي . فلما لم يبق معي راجل ولافارس ولا رامح ولاتارس ، هربت اذهربوا وذهبت حيث ذهبوا . والقوم خلفنا يركضون ويتلون : «فَهزَمُوهُم باذنِ اللهِ »[5]، ومرة يتلون : «وكفى اللهُ المؤمنين القِتالَ »[6] ، ومرة يقرؤون: «قاتِلُوهُم يُعذِّبهُمُ اللهُ بأيديكُم ويخزهِم وينصُركُم عليهم ويشفِ صُدورَ قومٍ مؤمنينَ »[7] . فنحن بين مقتول ومأسور ومهزوم ومجروح ، لحقنا بالجبال ولزمنا القتال ، وكتبت أستنفركم وأستنصركم . فبادروا اخواني وأغيثونا نكن يداً على دفعهم ومنعهم ، وان لم

---

١. سورة آل عمران (٣) : ١٦٠ .

٢. سورة التوبة (٩) : ٢٩ .

٣. نفس السورة : ١٢ .

٤. سورة البقرة (٢) : ٢٤٩ .

٥. نفس السورة : ٢٥١ .

٦. سورة الاحزاب (٣٣) : ٢٥ .

٧. سورة التوبة (٩) : ١٤ .

تجيبوا فلا جبر بعد اليوم ولاتشبيه ، وأبيدت جنودي أجمعون . وكان ذلك أمر عظيم وخطب جسيم . تـمّ .

والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى أهـل بيته الاطهرين .

فهرست الاعلام

فهرست الابواب

